دراسات في تاريخ السودان

العصر الوسيط

مملكة الأبواب المسيحية و زمن العنج

د. أحمد المعتصم الشيخ



مملكة الأبواب المسيحية
و
زمـــن العـــنج

الطبعة الاولي - القاهرة ٢٠٠٢

مركز الدراسات السودانية

رقم الايداع ١٠٢٩١ / ٢٠٠٢

الترقيم الدولي I.S.B.N

977 - 5508 - 50 - 9

الغلاف والاخراج: هاشم ودراوي
التنفيذ: مريم محمد على

مركز الدراسات السودانية
ص.ب : ١٤٤١ الخرطوم
هاتف / فاكس : ٤٨٨٦٣١-٢٤٩١١
الخرطوم ٣ مربع ٥ منزل رقم ٨
القاهرة ٦ شارع نخله المطيعي
ت: ٦٤٤٣٧٢٦- فاكس ٦٣٢٨٧٨٩
E-mail-ssc@africamail.com

(١)

في مملكة الأبواب المسيحية

مقـــــدمة:

ازدهرت فى العصور الوسطى مملكتان مسيحيتان فى السودان عرفت الأولى باسم مملكة المقرة والثانية باسم مملكة علوة، وبالرغم من استمرار هاتين المملكتين فى حكم السودان قرابة الألف عام (القرن السادس /القرن السادس عشر) الا أننا مازلنا لانعرف كثيرا عن الاحداث والأوضاع الداخلية لهذه الممالك.(١)

والدراسات التى تناولت الفترة المسيحية فى السودان مازالت فى خطوطها العامة. وقد تركزت هذه الدراسات فى منهجين مختلفين أولهما المنهج التاريخى وثانيهما علم الآثار.

والمنهج التاريخى اعتمد فى الاساس على المصادر المكتوبة بصورة عامة، وبصورة اساسية على الاشارات الواردة فى المصادر العربية وكتابات المؤرخين العرب الذين تعرضوا لممالك النوبه المسيحية(٢) وقد كانت اشارات المصادر العربية فى مجملها مكتوبة من منظور علاقات مصر الإسلامية والعالم العربى بممالك النوبة المسيحية(٣) وقد افادنا هذا المنهج بالقاء شىء من الضوء على علاقات حكام مصر بمنطقة النوبة. ووفرت لنا هذه المصادر من ناحية جانبية قدر محدود من ملامح الحالة الداخلية فى هذه الممالك. وقد كانت هذه المصادر تعتمد فى غالبها على روايات سماعية عن منطقة النوبة. وفى حالات نادرة اعتمد بعض المؤرخين على مشاهداتهم الشخصية مثل ابن سليم(ت٩٩٦م)(٤) والمصادر العربية برغم اهميتها الا أنها لم توفر لنا غير معلومات قليلة وعامة عن الاحوال الداخلية لمملكة المقرة. وهناك شح واضح فى المعلومات عن مملكة علوة.

ومن ناحية أخرى فان مصدرنا الاخر للمعلومات يأتى من نتائج الحفريات الأثرية التى قامت بها بعثات التنقيب فى منطقة النوبه، وركز بعضها بشكل خاص على آثار الفترة المسيحية ومن أهم الحفريات تلك التى قامت نتيجة لبناء خزان اسوان وحملة انقاذ آثار النوبة(٥) بالاضافة لحفريات جامعة الخرطوم فى سوبا عاصمة علوة(٦).

---

* نشرت هذه الدراسة فى مجلة دراسات افريقية ١٩٨٩م

وهذه الحفريات الأثرية تركزت على منطقة النوبة السفلى وبصورة عامه على مملكة المقرة وبالذات فى الجزء الشمالى منها. ولذلك فأن محدودية الرقعة التى قامت فيها هذه الحفريات، بالرغم من أنها أعطت نتائج هامه لكن من الصعب تعميمها على باقى اجزاء الممالك المسيحية. وحفريات جامعة الخرطوم فى سوبا وسعت من معرفتنا بمملكة علوة ولكنها لم تضف كثيراً فى حل الغموض حول شئون هذه المملكة.

هذا الشح الواضح فى المعلومات عن الممالك المسيحية حتى فى أوج ازدهارها جعل هناك غموضا فى كثير من شئون تلك الممالك، مثل التقسيمات الادارية والظروف الداخلية، ومعرفتنا بالكثير من القضايا المختلفة لهذه الفترة الهامة من تاريخ السودان مازالت فى بداياتها، ومازالت هناك الكثير من الاسئلة التى تنتظر الاجابة.

ومن أهم القضايا غير المطروقة هى علاقة مملكة المقرة بمملكة علوة، بالاضافة للتحاشى الواضح لتلك الفترة الغامضة فى تاريخ هاتين المملكتين، وهى الفترة بين عام ١٣١٦م - والعام ١٥٠٤م تقريبا بحسبان أن التاريخ الأول يعنى تحول الملك فى دنقلا إلى الإسلام والتاريخ الثانى سقوط علوة فى يد الفونج ونهاية المسيحية فيها.

وفى هذه الدراسة سنتناول بالبحث واحدة من هذه المسائل الشائكة وهى طبيعة الحدود بين مملكتى المقرة وعلوة المعروفة "بالابواب". ومن ناحية أخرى ستقودنا هذه الدراسة فى البحث فى تلك الفترة الغامضة بين القرنين الذين أعقبا اسلام الملك فى دنقلا وظهور مملكة الفونج على انقاض سوبا المسيحية.

وسنحاول فى هذه الدراسة تجديد النظر إلى الاشارات الكثيرة للابواب الواردة فى كتابات المؤرخين العرب والتى وجدت اهتماما قليلا من قبل الدارسين الذين توفروا على دراسة الفترة المسيحية من خلال معطيات هذه المصادر وسنحاول هنا تحديد الظروف التاريخية التى ظهرت فيها هذه التسمية، وموقع الابواب الجغرافى وتطور هويتها السياسة التى تشير اليها المصادر العربية كموقع حينا ثم ولاية تابعة لعلوة فى مرحلة أخرى ثم كمملكة ذات نشاط رصدته هذه المصادر فى الفترة الاخيرة من العهد المسيحى.

وفى أثناء جمع المعلومات عن المؤسسات الإسلامية أتيح لى جمع روايات شفاهية ومخطوطات ووثائق [9] بالاضافة إلى النظر فى الاشارات الواردة فى المصادر العربية، والمسوحات التى اجريت عن آثار المنطقة بين الشلالين الرابع

والخامس، وستشكل هذه المصادر رافدا لهذه الدراسة.

الموقع الجغرافى للابواب:-

لايزال الموقع الجغرافئ للابواب موضع جدل ومكان خلاف بين دارسى الفترة المسيحية فى السودان وينحصر الخلاف بين هؤلاء الدارسين حول ثلاث مواضع للابواب.

١/ الرأى الأول يقول بأن الابواب:- هى المنطقة بين كريمه وابوحمد[١٠].

٢/ الرأى الثانى يقول بأن الابواب:- هى المنطقة حول كبوشيه [١١]

٣/ الرأى الثالث يقول بأن الابواب:- هى المنطقة بين الشلالين الرابع والخامس[١٢]

والراجح أن هذا الخلاف بين المؤرخين حول موضع الابواب نتج عن التفسيرات المختلفة للاشارات الواردة فى أربع مصادر اعتمد عليها المؤرخين فى تحديد موقع الابواب - وهذه المصادر يمكن ترتيبها كالاتى:-

١/ المصدر اللغوى لكلمة (باب - أبواب) واستعمالاتها المختلفة فى اللغة العربية وعند والجغرافيين العرب.

٢/ المصادر الوطنية وعلى رأسها كتاب طبقات ودضيف الله.

٣/ أشارات المؤرخين العرب فى العصور الوسطى للابواب فى كتاباتهم عن منطقة النوبة ومملكتى المقره وعلوة المسيحيتين.

٤/ البينات والمعطيات الأثرية.

وهى المصادر الرئيسية التى اعتمد عليها الدارسون فى تحديدهم لموقع الابواب وسنحاول فى هذا البحث القيام بتحليل المصادر المذكورة نفسها بالاضافة إلى النظر فى بعض المصادر الشفاهية المتوفرة، ونأمل أن نصل بهذا التحليل إلى تحديد الموقع الجغرافى للابواب حسب أشارات هذه المصادر.

تحليل الآراء التى تحدد موقع الأبواب الجغرافى:

١/كريمه أبوحمد:

يمكننا فى البداية اسقاط الرأى الأول الذى يقول بأن الابواب "هى ذلك الجزء الصخرى من النيل بين كريمه وابوحمد" وهو رأى أنفرد به أركل ويعتمد على المصدر اللغوى لمعنى" الابواب - شلالات" كما يلمح لذلك، ولم يجد هذا الرأى قبولا

عند المؤرخين الآخرين لاعتماده على مصدر واحد لا ترفده المصادر الأخرى وليس له أدلة تسنده.

٢- كبوشيه (منطقة الجعليين):-

بالنظر للرأى الذى يقول بأن الأبواب هى كبوشيه (منطقة الجعليين) وهو رأى وجد انتشارا بين عدد من المؤرخين. وبالرغم من ذلك فانه رأى ضعيف فى نظرنا لأسباب كثيره:-

أولا: يستند هذا الرأى على مصدر واحد تداولته المصادر الوطنية ويعتمد فى الأساس على الاشارات الواردة عن الابواب فى كتاب الطبقات لود ضيف الله وغيره من المخطوطات الوطنية. ونلاحظ بأن أهم مؤيدى هذا الرأى هم المؤرخون الذين تعاملوا مع المصادر الوطنية فى دراساتهم عن فترة الفونج ويشملهم يوسف فضل فى قوله "أن موقع الابواب مايزال موضع خلاف، فالبينات الأثرية تضع الحدود (الابواب) بالقرب من أبوحمد، ومونرت دى فيلارد يعتقد بأن الابواب تقع عند التقاء نهر عطبره بالنيل، بينما آخرون (كرافورد - ماكمايكل "يضعونها فى منطقة كبوشيه)" ويرجح يوسف فضل هذا الرأى.[١٣] ونلاحظ هنا بأن هؤلاء كلهم من دارسى الوثائق الوطنية ويؤرخون لفترة الفونج ومابعدها (مكمايكل، كرافورد ويوسف فضل) ومن الواضح أنهم فى تحديدهم لمنطقة الابواب اعتمدوا على الاشارات الواردة فى كتاب الطبقات وغيره من المخطوطات الوطنية.

وفى نظرنا أن تحديد موضع الابواب استنادا على كتاب الطبقات لم يعتمد على التحليل الدقيق للاشارات الواردة فيه ولم يجد كثير تمحيص وسنحاول تبيان ضعف هذا الرأى بتحليل المواضع التى ذكرت فيها الابواب كموضع يعنى كبوشيه أو منطقة الجعليين عامة:

أول ما نلاحظ فى كتاب الطبقات أن الاشارة للابواب جاءت فى مواضع مرتبطة بعلماء من منطقة الشايقية - ومرتبطة بأسرة الشيخ عبدالرحمن بن حمدتو أو الشيخ صغيرون . يقول ود ضيف الله "وبعده بيسير قدم الشيخ صغيرون والشيخ عبدالرحمن بن حمدتو من دار الشايقية إلى دار الابواب" ويقول أيضا عن أسرة الشيخ عبدالرحمن بن حمدتو . . ."مالك بن الشيخ عبدالرحمن بن حمدتو سكن أرض الزورة" ويوصف بأنه" عالم الابواب على الاطلاق ومدرسها ومفتيها وقاضيها" ويقول عن عبدالرحمن بن أسيد؛ ولد بنورى وامه ست الدار بنت الشيخ عبدالرحمن

ولد حمدتو . . وقدم من دار الشايقية إلى دار الابواب" ويقول الطبقات أيضا" عبدالرحمن ابوفاق بن مدنى بن الشيخ عبدالرحمن ولد حمدتو ولد أم جدين ولد بنورى من دار الشايقية وقدم الابواب مع ابواته ثم رجع إلى دار الشايقية" . . ويقول أيضا "صغيرون، ولد رحمه الله، بالجزيرة ترنج من دار الشايقية وكان سبب قدومه إلى دار الابواب عادوه اولاد خاله عداوة شديدة . . [١٤]

نرى من هذا العرض للاشارات الواردة فى الطبقات انها تكاد تنحصر فى الاخبار عن اسرة واحدة نازحة من دار الشايقية . .ونرى كذلك الارتباط بين الاخبار عن اسرة عبدالرحمن بن حمدتو وصغيرون، وقد يرجع هذا إلى أن صاحب الطبقات أخذ من مصدر واحد يرجح بأنه من أحد أبناء الشايقية وقد اشار كاتب الطبقات بأنه أخذ كثيرا من معلوماته من مصادر مكتوبه وشفاهيه.

واهتمامنا هنا بورود الابواب عند ذكر هؤلاء العلماء النازحين من منطقة الشايقية راجع إلى أن علماء الشايقية يطلقون كلمة الابواب على المنطقة الواقعة جنوبهم من مقرات وحتى منطقة الجعليين[١٥] ويشير محمد ابراهيم ابو سليم إلى نفس المعلومه بقوله: "وبعد أن أفلت مدارس الشايقية جاءت مدارس الابواب والتى امتدت من مقرات إلى شندى وكان اهمها مدرسة القوز ومدرسة الغبش ومدرسة الدامر"[١٦] واستنادا على هذا نرى أن المؤرخين الذين حددوا منطقة الابواب بكبوشيه لم يستندوا على دليل حقيقى يتيح هذا التحديد القاطع بالرغم من انتشار رأيهم.

ونضيف إلى ما سبق ذكره من أسباب: أن اطلاق اسم الابواب على منطقة الجعليين هو بمثابة احياء للاسم الذى كان يستعمله المؤرخون العرب واختفى فى بطون الكتب حتى اعادت استعماله طبقة العلماء والفقهاء السودانيين فى فترة الفونج. ولفظ الابواب لفظ اطلقه المؤرخون العرب على منطقة محددة فى الفترة المسيحية ونرجح أن هذا اللفظ كان ترجمة لاسم نوبى محلى فى هذا المعنى ثم جاءت طبقة الفقهاء واعادت استعمال هذه التسمية التى وجدت تداولا محدودا فى كتابات هذه الطبقة ومؤلفاتها.

ونلفت النظر هنا بأن الاسماء التاريخية أو تلك التى تصف معلما جغرافيا قد تتبادل فى فترات تاريخية مختلفة أو فى اماكن جغرافية متباعدة من ذلك مثلا أن "مروى" عاصمة المملكة المروية قد أعيدت تسميتها فى فترة تاريخية أخرى "مروى الجديدة فى منطقة الشايقية" بدون أن تكون هناك صلة مباشرة بينهما.

ومن الاسماء النابعة من معالم جغرافية نجد بعض الاسماء كثيرة التكرار، مثل

الكرو - فى منطقة الشايقية والكرو فى منطقة الرباطاب والباقير فى منطقة الرباطاب والباقير جنوب الخرطوم وهى أسماء نابعة من طبيعة الارض . اضف إلى ذلك اسماء مثل القوز أب دوم - أب هشيم التى نجد لها عشرات الاماكن بنفس الاسم فى السودان.

ذكرنا هذا لان "الابواب" فى الاساس وصف جغرافى معروف للمضايق بين الشلالات، وهذا يجعل من الابواب تسمية واردة فى أى منطقة بين الشلالات يندفع منها الماء من أبواب محددة.

وفى اعتقادنا أن لفظ الابواب التى اطلقها المؤرخين العرب كانت بديلا أو ترجمة لاسم نوبى محلى يحمل نفس المعنى الجغرافى - وقد تكون التسمية المحلية هى التكاكى التى تحمل المقابل النوبى لكلمة الابواب كما سندلل لاحقا.

ومما تجدر الاشارة أليه أيضا أن "الابواب" لم ترد فى أى من وثائق الفونج الرسمية أو ضمن التقسيمات الاقليمية لتلك الفترة[١٧] لذلك نرى وجوب التفريق وعدم الخلط بين التسمية الواردة للابواب فى المصادر العربية فى الفترة المسيحية وتلك الواردة فى مصادر فترة الفونج.

المنطقة بين الشلالين الرابع والخامس:

وباسقاطنا للرأى الأول، وتبيان ضعف الرأى الثانى يبقى لنا الرأى الثالث وهو الرأى الذى يقول بأن الابواب هى المنطقة بين بداية الشلال الرابع وبداية الشلال الخامس جنوب مقرات وهو فى نظرنا أنسب الاراء واكثرها سندا وحجة وترجيحا والمصادر التى ترفد هذا الرأى وتؤكده عديدة. وهذا الرأى يقول به عدد كبير من الدارسين للفترة المسيحية من خلال وثائق تلك الفترة بالاضافة لعلماء الآثار المهتمين بآثار الفترة المسيحية. وعن هذا الرأى يقول الأب فانتينى " ساد الرأى العام لدى العلماء فى تحديد موقع الابواب بين عطبره وأبو حمد" وهو لا يحدد هؤلاء العلماء ولكنه يقصد الدارسين للفترة المسيحية وهو بالتأكيد واحد منهم حيث يضع الابواب عند الشلال الخامس.

ويحدد آدمز منطقة الابواب أكثر بقوله "يبدو أنه لم يكن هناك موضع ثابت للحدود السياسية بين مملكتى المقره وعلوة، ولكن المنطقة الصخرية غير المنتجة بين الشلالين الرابع والخامس يمكنها أن تمثل منطقة عازله بطريقة فعاله، ومن المحتمل أيضا أن سكانها القليلين لم يكن لهم ولاء لأى من ملك دنقلا أوعلوة".

وفى هذه الدراسة وبالاعتماد على المصادر المتاحة عن الفترة المسيحية التى تناولها المؤرخون نرجح الرأى القائل بأن الابواب هى المنطقة بين الشلالين الرابع والخامس، استنادا على المصادر الثلاثة التى اعتمد عليها المؤرخون وهذه المصادر إذا اخذناها مجتمعة ترجح هذا الرأى وهى وكما حددناها سابقا:

١/ الدلالة اللغوية.

٢/ البينات والمعطيات الأثرية.

٣/ اشارات المؤرخين العرب للابواب فى كتاباتهم عن الفترة المسيحية.

١/ الدلائل اللغوية:

عرفت المنطقة بين الشلالين الرابع والخامس بالفاظ ثلاثة كلها تدل على معنى واحد، فقد عرفت المنطقة فى فترة المهدية باسم بوغاز أبو حمد، وكان يطلق عليها فى فترة الفونج اسم التكاكى، وكانت تعرف بالابواب فى الفترة المسيحية - كما نرجح - وهى تسميات فى معنى مضيق الماء.

أ/ بوغاز أبو حمد:

ورد هذا اللفظ كثيراً فى وثائق فترة المهدية وخاصة فى الوثائق المتعلقة بحملة النجومى على مصر، حيث كان بوغاز ابو حمد موقعا هاما يستحق المراقبة والحماية[١٨]. والبوغاز كلمة عربية تعنى انحصار الماء فى مضيق ونشير هنا إلى بوغاز باب المندب.

ب/ التكاكى:

فى فترة الفونج عرفت المنطقة بين الشلالين الرابع والخامس باسم التكاكى، وقد ورد هذا الاسم عند الرحالة بروس[١٩] وأشار اليه الرحالة بوركهاردت[٢٠]، ووردت الكلمة عند كاتب الطبقات [٢١]، وفى الموروث المحلى ترد الاشارة كثيرا إلى دار التكاكى ومملكة التكاكى[٢٢].

ولفظ تكاكى فى أغلب الاحتمال قد يكون من الكلمة النوبية "تكاركى" -Tak karki والكلمة تعنى مدخل ضيق "Narrow Path " كما شرح ذلك قاموس اللغة الدنقلاوية[٢٣]، وبهذا المعنى فان التكاكى قد تكون من الاصل النوبى للكلمة فى معنى بوغاز أو أبواب العربية. وبهذا تكون هى الاسم المحلى النوبى الذى اطلق على

هذه المنطقة فى الفترة المسيحية وقد جاءت كلمة الابواب عند المؤرخين العرب كبديل للاسم المحلى وفى نفس المعنى. واحتفظت هذه المنطقة باسمها النوبى بينما اختفى اسم الابواب فى بطون الكتب.

ج: الابواب:

لفظ باب/ ابواب شاع استعماله عند المؤرخين والجغرافيين العرب كمصطلح جغرافى يعنى ممرا ضيقا للماء وكذلك فى معنى خروج الماء أو انحصاره فى مجرى ضيق وفى هذا المعنى نجد (باب المندب) ومن المؤرخين العرب الذين كتبوا عن منطقة النوبه نجد ابن سليم يستعمل كلمة باب بوضوح فى معنى مضيق مجرى الماء ويقول فى وصفه للشلال الثالث" . . وهى أشد الجنادل صعوبة لأن فيها جبلا معترضا من الشرق إلى الغرب والماء ينصب من ثلاثة ابواب . . وربما رجع إلى بابين عند انحساره"(٢٤).

ويطلق نعوم شقير كلمة "باب" فى وصفه لشلالات النيل بقوله "والشلالات نوعان اما صغيره يغمرها النيل عند فيضه، فتسير السفن من فوقها مدة الفيض حتى إذا ما نزل النيل وانكشفت الشلالات مرت السفن فى مضايق معلومه" تعرف بالابواب"(٢٥) ويحدد نعوم شقير هنا معنى ادق لكلمة باب وهى ممرات السفن بين الشلالات. ويتفق هذا مع استعمال اصحاب المراكب العاملة فى النيل لكلمة باب فهم يحددون اماكن بعينها وسط الشلالات يسمونها" بيبان (جمع دارجى) وواحدها" باب وتسلك المراكب من خلالها، وتنحصر هذه الابواب فى مناطق الشلالات وفى المنطقة بين الشلالين الرابع والخامس تعرف عدة أبواب اهمها اربعة ابواب عند قرية كرقس، وباب يسمى البوصه فى قرية ندى وابواب اخرى يطلق عليها ابوسنون والرغاى ورقبة الجمل وغيرها ابواب اخرى معروفة (٢٦)، مما يرجح أن المؤرخين العرب اطلقوا لفظ الابواب على هذه المنطقة.

٢/ البينات والمعطيات الاثرية:

بالرغم من قلة الدراسات الاثرية التى اهتمت بالمنطقة بين الشلالين الرابع والخامس وانطباعية بعضها الا انها تعطينا رأيا أوليا هاما فى تحديد موقع الابواب، يقول يوسف فضل "والبينات الاثرية تضع الحدود (بين المقره وعلوة) بالقرب من أبوحمد حيث يقل وجود نمط فخار المقره/ بينما يقل نمط فخار علوة إلى الشمال منها(٢٧)، وقد قال جاكسون الذى قام بعرض قطع من الفخار من المنطقة

بين الشلالين الرابع والخامس على اديسون محافظ الآثار" وبالنظر لهذه الاثار يعتقد اديسون بأن بعضا من فخار هذه المنطقة ينتمى إلى نوع فخار علوة، وبعضه ينتمى إلى فخار المقره، وهو استنادا على هذا الفخار يضع الحدود بين مملكتى المقره وعلوة فى مكان ما قرب ابوحمد على اساس ان فخار المقره لا يوجد كثيرا جنوب ابوحمد ولا يوجد فخار علوة إلى الشمال منها، ولذلك فمن المحتمل أن تكون الحدود فى جوار الكرو على بعد اثنتى عشر ميلا جنوب ابوحمد(٢٨) "والحدود المشار اليها هنا هى" الابواب"، واديسون نفسه فى مقال لاحق له يضع الابواب فى منطقة الكرو جنوب ابوحمد كما حددها لجاكسون(٢٩).

من ناحية أخرى عرض جاكسون على عالم الاثار رايزنر قطعا من الفخار الذى وجده فى قنديسى والكدق وارتل من جزر المنطقة ويقول "وبالرغم من ضآلة الادلة المقدمة فان رايزنر يؤيد رأى اديسون فى وضع الحدود "الابواب" بين مملكتى علوة والمقره فى هذه المنطقة(٣٠)".

٣/ المصادر العربية والمؤرخون العرب:

إذا حللنا الاشارات الواردة فى المصادر العربية التى تحدثت عن منطقة الأبواب كحدود بين مملكتى المقره وعلوة المسيحيتين وقرأنا استنتاجاتها قراءة فاحصة نجد أنها تؤيد الرأى القائل بأن الابواب هى المنطقة بين الشلالين الرابع والخامس.

يقول النويرى مثلا وهو يصف الطريق الذى سلكته الحملة المملوكية الاولى التى أنزلت الهزيمة بالملك النوبى سمامون وطاردته جنوبا . "إلى أن انتهوا إلى مدينة دنقلا فوجدوا الملك قد اخلاها واجلا اهلها .. ولم يجد الامراء بها الا شيخا كبيرا وعجوزا فسألوهما عن اخبار الملك فذكروا أنه توجه إلى جزيرة وسطاء فى بحر النيل مسافتها من دنقلا خمسة عشر يوما واتساع هذه الجزيرة مسافة ثلاثة أيام طولا، فتبعهم متولى الاعمال القوصية ومن معه إلى الجزيرة المذكورة ولم تصحبهم حراقة ولا مركب لتوعر البحر بالاحجار"(٣١).

وسوف نقوم بدراسة وتحليل هذا النص لتحديد الموقع الجغرافى لهذه الجزيرة أولا والتى هرب اليها سمامون فى وجه مطاردة المماليك لاهمية تحديد موقع هذه الجزيرة فى تحديد موضع الابواب.

والنويرى يعطينا ثلاثة صفات لهذه الجزيرة:

أولا: هذه الجزيرة تبعد عن دنقلا مسافة خمسة عشر يوما.
ثانيا: طول هذه الجزيرة ثلاثة أيام.
ثالثا: صعوبة الوصول لهذه الجزيرة بالمراكب لتوعر البحر بالاحجار.
هذه الاوصاف ترجح بصورة شبه اكيده بأن الجزيرة المقصودة هى جزيرة مقرات للاسباب التالية:
أولا: يمكننا حساب الخمسة عشر يوما المذكورة بالاميال، واليوم هو مسافة حسابية كا اورد ذلك الرحالة "بروس" فى رحلاته ويقدر بروس أن اليوم يساوى بالاميال ١٥ (خمسة عشر ميلا)(٣٤) وباستعمال هذا الحساب نجد أن الخمسة عشر يوما المذكورة تساوى بالاميال ١٥X ١٥ = ٢٢٥ ميلا، وبقياس المسافة الحقيقية بين دنقلا القديمة وجزيرة مقرات (حسب تعرجات النيل) نجدها تساوى ٢٣٠ ميلا. وبهذا الحساب تكون مسافة مقرات من دنقلا ٢٣٠- ١٥ =١/٣، ١٥ يوما وهى تقريبا المسافة المذكورة عند النويرى (والفارق خمسة اميال فقط).
ثانيا: أن جزيرة مقرات هى اكبر الجزر على النيل ولا توجد جزيرة بهذا الوصف جنوب دنقلا غير جزيرة مقرات وطولها اكثر من عشرين ميلا . .ووصف النويرى بأن طولها ثلاثة ايام لا يمكن أن يعنى غيرها فى هذا الجزء من النيل جنوب دنقلا وحيث لا توجد جزيرة بهذا الطول غيرها.
ثالثا: ذكر النويرى أن الجيش المملوكى لم تصحبه حراقه ولا مركب لتوعر البحر بالاحجار "وهذا الوصف ينطبق على وضع جزيرة مقرات حيث انها تقع مباشرة فى الطرف الجنوبى للشلال الرابع . . وهو جندل مشهور بصعوبة شلالاته واستحالة عبورها بالمراكب حتى الآن(٣٣).
إذا رجحنا حسب الشواهد المذكورة أن الجزيرة التى هرب اليها سمامون هى جزيرة مقرات، يمكننا بذلك تحديد موقع الابواب جنوب هذه الجزيرة..إذ أن النويرى يستمر فى وصف هروب الملك سمامون بقوله "فتبعهم متولى الاعمال القوصيه ومن معه إلى الجزيرة المذكورة . .فانهزم (الملك سمامون) من الجزيرة إلى جهة الابواب وهى مسافة ثلاثة ايام من الجزيرة" (٣٤).
يذكر النويرى هنا أن الابواب تقع على بعد ثلاثة أيام من الجزيرة وهى بذلك تعنى بحساب الاميال التى ذكرناها مسافة ٤٥ ميلا جنوب جزيرة مقرات.. (ثلاث أيام X خمسة عشر ميلا لليوم الواحد تساوى خمسة واربعين ميلا". واذا حسبنا

٤٥ ميلا جنوب جزيرة مقرات فانها تضعنا فى جزيرة أرتل (موضع الكنيسة المشهورة عند الاثريين) وايضا فى قرية الكدق المحازية لها غربا. وبهذا يمكننا تحديد هذه المنطقة (ارتل/ الكدق التى تقع بين الشلالين الرابع والخامس كمركز للابواب التى هرب اليها سمامون.

وللنويرى أيضا نص آخر يمكننا من استقرائه تحديد موقع الابواب، يقول النويرى فى ذكر تجريدة من العسكر المملوكى إلى العرب فى برية عيذاب ودخوله إلى بلاد هلنكه وغيرها" . ورجعوا من هناك من يومهم على آثارهم . . وعادوا حتى انتهوا إلى اريباب ولم يمكنهم الرجوع على الطريق الذى دخلوا منه لقلة المياه والاقوات والعلوفات، فعدلوا إلى جهة الأبواب من بلاد النوبة وأخذوا على نهر اتبرا فساروا على شاطئيه عشرين يوماً ثم انتهوا إلى قبالة الأبواب.. فأقاموا هناك يوماً، فتوجه سيف الدين أبوبكر والى الليل الرسليه إلى متملك الابواب فخاف ولم يأت إلى العسكر وارسل إليهم مئاتى رأس بقر واغنام وذرة ونهب العسكر ماوجدوه بتلك الجهة من الذرة وتوجهوا إلى مدينة دنقلا فى سبعة عشر يوماً[٣٥]. انظر الخارطة رقم (٢).

يهمنا فى وصف النويرى أن هذه الحملة سارت إلى جهة الابواب مستعملة طريق نهر عطبرة، وهو طريق يقودهم إلى إلتقاء نهر عطبرة بالنيل حيث واصلوا سيرهم شمالاً.. قاصدين دنقلا - فوصلوا إلى الأبواب.

والإشارة الأخرى التى أوردها النويرى أن العسكر بعد أن أقام فى قبالة الأبواب ليلة، توجهوا إلى دنقلا فى سبعة عشر يوماً وهى تقريباً نفس المسافة إلى "الابواب" التى هرب إليها سمامون من دنقلا وهى ثمانية عشر يوماً - إلى الجزيرة فى ١٥ يوماً وإلى الأبواب فى ثلاثة أيام - والفارق فى هذه الحالة يوماً واحداً أى مسافة ١٥ ميلاً حول هذه المنطقة.

ويقول النويرى أيضاً "ان متملك الأبواب خاف ولم يأت إلى العسكر مما اضطر قائد الحملة " متولى الليل الرسليه" إلى الذهاب إليه فى مقره وهذا يعنى أن متملك الابواب يتحصن فى جزيرة أو أنه فى غرب النيل حيث كان العسكر يسيرون فى محاذاة الجهة الشرقية للنيل. وهذا قد يعنى أن متملك الابواب له مقر فى جزيرة أوفى غرب النيل حيث أن العسكر لم يتمكنوا من الوصول إليه وأنه لم يأت لهم حيث كانوا يسيرون بمحاذاة الضفة الشرقية للنيل.

ومصدر آخر من المؤرخين العرب الذين اشاروا إلى الأبواب نجد ابن سليم الأسوانى الذى يصل إلى الإشارة للأبواب بعد أن يصف مملكة المقره فى حدودها

الشمالية والجنوبية ويحدد ابن سليم الحدود الشمالية لمملكة المقره بخمسة أميال إلى الجنوب من أسوان، ثم يصف أجزاء مملكة المقره جنوباً حتى يصل إلى نهاية حدودها الجنوبية بقوله "والنيل يتعطف من هذه النواحى إلى مطلع الشمس وإلى مغربها مسيرة أيام حتى يصير المصعد فيه كالمنحدر، وهى الناحية التى تبلغ العطوف من النيل إلى المعدن المعروف بالشنكة".. ثم يستأنف ابن سليم وصفه بقوله" وأول بلد علوة قرى فى الشرق تعرف بالأبواب ولهذه الناحية وال من قبل صاحب علوة يعرف الوحواح[٣٦]".

وفى هذا النص الذى سقناه من ابن سليم فى وصفه للجزء الجنوبى من أرض مملكة المقره، نلاحظ تحديده لهذا الجزء بأنه الأرض مابين دنقلا وأول بلد علوة. ومن هذا الوصف نرى أن ابن سليم يصف منطقة انعطاف النيل بين الدبة وابوحمد وهو يحدد أن نهاية حدود المقره عند انعطاف النيل وبعدها مباشرة الأبواب أول بلد علوة.

أ/ وبهذا الاستعراض والتحليل لمعطيات المصادر العربية التى تشير إلى الأبواب يمكننا تحديد الأبواب وفقاً لهذه المصادر بأنها قرى فى الشرق تابعة لمملكة علوة وتقع بعد انعطاف النيل مباشرة.

ب/ أن الأبواب تقع على مسافة ثمانية عشر يوماً أو سبعة عشر يوماً على النيل جنوب دنقلا.

ج/ أن الأبواب لها مركز محدد يغلب الاحتمال فيه أن يكون غرب النيل أو فى جزيرة ويبعد هذا المركز من جزيرة مقرات بثلاثة أيام ٤٥ ميلاً أو حول هذه المنطقة فى حدود ١٥ ميلاً (يوماً واحداً).

الهوية الجغرافية للأبواب:

درج دارسو الفترة المسيحية على وضع الأبواب كخط حدود (LINE) يفصل بين مملكتى المقره وعلوة المسيحيتين، ولكن اشارات المؤرخين العرب تعطينا بعدا أوسع للأبواب وقد جاءت أول إشارة معروفة للأبواب فى المصادر العربية من اليعقوبى (ت ٨٩٧) فى قوله "...وأما من قصد العلاقى إلى بلاد النوبة فيسير ثلاثين مرحلة بعضها إلى كياو ثم إلى موضع يقال له الأبواب"[٣٧]. وهو يشير إليها كموضع، وبعد مايقارب القرن من إشارة اليعقوبى نجد ابن سليم (ت ٩٩٦م) يصف الأبواب بقوله " أول بلاد علوة قرى فى الشرق على شاطئ النيل تعرف بالأبواب[٣٨]"

ويدلنا ابن سليم هنا على أن الأبواب مجموعة قرى وتظهر الأبواب بعد ذلك بحوالى ثلاثة قرون بعد زمن ابن سليم عند ابن ابى الفضائل الذى يقول فى عام ١٢٧٦م."ملك الأبواب... وهو ملك من ملوك النوبة له اقليم متسع[٣٩]" والأبواب بهذا المعنى هى اقليم متسع يضم مملكه.

ومن هذا يتضح لنا بأن الأبواب ليست بحال من الأحوال خط حدود بين مملكتى المقره وعلوة ولكنها اقليم متسع- ولا نستبعد هنا أنه كان لهذا الاقليم مركز واحد يطلق عليه أيضاً لفظ الأبواب.

خلاصـــــة:

من هذا العرض للمصادر الرئيسية والثانوية التى تعرضت لذكر الأبواب يمكننا الوصول إلى ترجيح الرأى القائل بأن الأبواب" هى تلك المنطقة الصخرية الواقعة مابين الشلالين الرابع والخامس [٤٠]" كما يحدد آدمز، وتتفق الدراسة الحالية معه فى وضع الأبواب فى هذه المنطقة.

- وذلك لأن معطيات المصادر العربية عند تحليلها تشير إلى أن الأبواب تقع بعد الجزيرة التى تبعد عن دنقلا ١٥ (خمسة عشر يوماً) وهى جزيرة مقرات كما رجحنا. وأن الأبواب تقع على بعد ثلاثة أيام من هذه الجزيرة أى ٤٥ ميلاً جنوبها الأمر الذى يضعنا فى موضع جزيرة أرتل أوغربها فى الكدق أوحول هذه المنطقة فى دائرة قطرها ١٥ ميلا (يوماً واحداً) وأن الأبواب كما جاءت عند ابن سليم تقع مباشرة بعد انحناءة النيل الكبرى أى قليلاً جنوب أبوحمد". وبالإضافة للمصادر العربية فإن المصادر الوطنية تشمل هذا الجزء الجغرافى فى إشارتها للأبواب" مدارس الابواب التى امتدت من مقرات إلى شندى".

وأشرنا كذلك إلى أن البينات الاثرية المتاحة تفيد بأن الحدود بين مملكتى علوة والمقره (الابواب) تقع فى "الكرو" جنوب ابوحمد بأثنى عشر ميلاً. وأن هذه البينات شملت فخاراً من جزيرة أرتل ومن جزيرة قنديس ومن جزيرة سبنس وهى جزر تقع فى نفس المنطقة بين الشلالين الرابع والخامس.

والدلالة اللغوية أيضاً تشير إلى أن هذه المنطقة عرفت بأسماء مختلفة فى معنى واحد فهى بوغاز ابوحمد فى فترة المهدية وهى التكاكى فى فترة الفونج وهى الأبواب فى الفترة المسيحية وهى كلها فى معنى واحد والدلالة اللغوية تشير إلى إن الإسم ناتج عن تميز المنطقة بكثرة شلالاتها، وأن الابواب المعروفة بين هذه الشلالات قد تكون هى الدافع لهذه التسميات التى تقع كلها فى معنى الابواب.

مملكة الابواب المسيحية:

تطور الهوية السياسية للابواب:

كما ذكرنا أن أول اشارة معروفة للابواب فى المصادر العربية جاءت عند اليعقوبى (ت ٨٩٧) الذى يقول " فأما من قصد العلاقى إلى بلاد النوبة فيسير ثلاثين مرحلة بعضها إلى كياو ثم إلى موضع يقال له الأبواب(٤١)". واليعقوبى يشير إلى الأبواب كموضع ولا توضح اشارته شيئاً عن أى وضع سياسى لها.

وبعد مايقرب من القرن من اشارة اليعقوبى نجد ابن سليم (ت ٩٩٦م) يصف الابواب بقوله " أول بلاد علوة قرى فى الشرق على شاطئ النيل تعرف بالابواب، ولهذ ه الناحية وال من قبل صاحب علوة يعرف الواحواح(٤٢)"". وفى هذه الجملة يعطينا ابن سليم حقيقتين هامتين عن الوضع السياسى للابواب أولاً: ان الابواب ولاية ذات كيان خاص وعليها والٍ وثانياً: وان هذه الولاية تتبع لمملكة علوة.

وبعد ابن سليم تسكت المصادر العربية لفترة طويلة دون ان تذكر الابواب، ولكنها تظهر بعد ذلك بحوالى ثلاثة قرون من الزمان فى عام ١٢٧٦م يقول ابن ابى الفضائل "ملك الابواب... وهو ملك من ملوك النوبه له اقليم متسع (٤٣). وهى بهذا فى زمن ابن ابى الفضائل صارت الابواب مملكة من ممالك النوبه. ولا يشير ابن ابى الفضائل إلى انها تابعة لعلوة. ولكن اشارته توحى بأنها مملكة شبه مستقلة حيث أن ملك الابواب اصبح احد ملوك النوبة.

ثم تتوالى بعد ذلك الاشارات عند المؤرخين العرب للابواب كمملكة ذات نشاط واسع وتأثير واضح فى تلك الفترة المتأخرة من العهد المسيحى.

ومن العرض السابق نجد أن هناك تطوراً هاماً فى الهوية السياسية للابواب يمكن تلخيصه كالآتى حسب التدرج التاريخى كما جاء فى اشارات المصادر العربية:

٨٩٧م كانت الابواب موضعاً كما اشار لذلك اليعقوبى

٩٩٦م أصبحت الابواب ولاية عليها وال من قبل صاحب علوة كما اشار ابن سليم.

١٢٨٧م صارت الابواب مملكة من ممالك النوبة كما أشار لذلك ابن أبى الفضائل.

١٣١٦م مازالت الابواب مملكة وقد ذكرها النويرى.

أهمية مملكة الأبواب فى الفترة المسيحية المتأخرة:-

فى الفترة المتأخرة من العهد المسيحى ظهرت الابواب بشخصية مميزه وأصبحت المصادر العربية تطلق عليها صفة مملكه وعلى صاحبها لفظ ملك. وأصبحت الابواب تمثل بالنسبة لملوك المقره العمق الاستراتيجى الذى يلجأون اليه فى حالات الهزيمة أو للمساعدة العسكرية فى مواجهة غزوات المماليك المتكررة على دنقلا. وتشير المصادر العربية إلى أن العلاقة بين المقره والابواب لم تكن حميمه فى بدايتها حيث يقول ابن أبى الفضائل عن الملك داوؤد "وانهزم داوؤد فيمن انهزم . . وكان الملك داوؤد لما هرب قصد ملك الابواب، وهو ملك من ملوك النوبه له اقليم متسع. ." ويضيف ابن الفرات" ثم عاد الاميران إلى القاهرة. وبعد أيام ارسل صاحب الابواب، وهى فوق بلاد النوبه - الملك داوؤد أسيرا إلى السلطان فاعتقله بالقلعة الا أن مات فى السجن[٤٤]". وهذه الاشارة تدلنا على أن ملك الابواب لم يقدم الحماية اللازمة إلى ملك دنقلا وانما ساعد المماليك بالقبض على داوؤد وارساله للسلطان المملوكى فى مصر، وقد يكون السبب فى هذا التصرف من قبل ملك الابواب هو خوفه من سطوة المماليك الذين أظهروا قوتهم الحربية الكبيرة فى هزيمتهم لملك دنقلا ومما يدلنا على الخوف الذى تملك ملك الابواب من سطوة المماليك كما يشير إلى ذلك ابن عبدالظاهر بقوله "ودخل فى قلوب أهل البلاد التى للسودان من عساكر مولانا السلطان رعب عظيم، لأنها وصلت إلى أمكنه ماوصلها جيش قط الا أن كان جيش الاسكندر ذو القرنين[٤٥]". ويصف ابن الفرات تصرف ملك الابواب المعادى للملك داوؤد بقوله "كان الملك داوؤد لما فتحت بلاده كما قدمنا شرحه ووصل إلى جهة الابواب قاتله صاحبها الملك أدر وقتل ولده وقبض على الملك داوؤد وسيره إلى السلطان"[٤٦] فوصل فى قبضة الأسر فى الثالث عشر من المحرم سنة خمس وسبعين وستمائة (١٢٧٦م)[٤٧]". كما يضيف ابن ابى الفضائل.

اختلف موقف ملك الابواب بعد ذلك بعشر سنوات (١٢٨٦م) من موقفه السابق تجاه ملك دنقلا اذ يقول المقريزى "وخرج سمامون وقاتل الأمير عزالدين قتالا شديداً فانهزم ملك النوبه وقتل كثير من معه واستشهد عدد قليل من المسلمين فتبع العسكر (ملك) النوبه مسيرة خمسة عشر يوما . . وفى جمادى الآخر(٦٨٩هـ) وصل والى قوص بمن معه إلى الجزيرة التى بها سمامون ملك النوبه فرأى بها عدة مراكب - فبعثوا اليه فى الدخول فى الطاعة وأمنوه فلم يقبل فأقام العسكر تجاهه

ثلاثة أيام فخاف من مجئ الحراريق والمراكب اليه فانهزم إلى جهة الابواب وهى خارجه عن مملكته[٤٨]".

ويبدو من هذه الفقرة أن الملك سمامون التجأ إلى ملك الابواب الذى استقبله وأواه. ومن الواضح أن قوة المماليك الرئيسية التى كان يخافها النوبه هى المراكب والحراريق. وقد تأكد لملك الابواب أن هذا السلاح الخطير عاجز عن اجتياز الشلال الرابع اذ أن المماليك فى تتبعهم للملك سمامون لم تصحبهم حراقه ولا مركب لتوعر البحر بالاحجار. ولذلك اصبح ملك الابواب مطمئنا من عدم وصول المماليك اليه بقوتهم مما أعطاه جرأة فى ايواء ملك دنقلا، وبعد رجوع المماليك يبدو أنه ساعد سمامون فى العودة إلى دنقلا وقتل داوؤد الذى نصبه المماليك. ويبدو ان ملك الابواب قد عرف انشغال المماليك عن النوبه بأمور أخرى يقول ابن الفرات" وكتب الملك سمامون إلى الملك المنصور سيف الدين قلاؤون يستعطفه ويسأله الصلح . . فوصل ذلك فى اواخر الدولة المنصورية وحصل اشتغال السلطان بما هو أهم من النوبه فاستقر سمامون بالنوبه إلى أيام الملك العادل زين الدين كتغبا المنصورى[٤٩]".

ثم بعد ذلك بحوالى ثلاثين سنة (١٣١٦م) لم يقدم ملك الابواب نفس الخدمة التى قدمها للملك سمامون، وذلك عندما ارسل المماليك غزوة على كرنبس ملك دنقلا يقول النويرى" فلما وصلوا إلى دنقلا فارقها متملكها كرنبس وأخوه ابرام وتوجها إلى جهة الابواب، فقبض (عليه ملك الابواب) وتركه فى جزيرة وكتب إلى مقدم العسكر يخبره انه قبض عليه وعلى أخيه واحترز عليهما وسأل أن يسير إليه من الابواب من يستلمهما. فسير اليه جماعة من رجال الحلقة فتسلموهما واحضروا للابواب السلطانية تحت الاحتياط واعتقلا، وملك عبدالله برشمبو دنقلا واستقر ملكه[٥٠]" وكما نرى من هذا النص أن ملك الابواب قلب ظهر المجن لملك دنقلا وفى رأينا أن الباعث لهذا التصرف من ملك الابواب أنه فى هذه الفترة كانت العلاقة بين الابواب والمقره علاقه عداء ومنافسه حيث اصبح ملك الابواب يحاول كسب ود المماليك فى مصر على حساب ملك المقره فى منافسه واضحه.

وعلاقة الابواب بدنقلا فى الفترة الاخيرة كان طابعها المميز الصراع العنيف بينهما. وتشير المصادر إلى أن العلاقة بين ملك دنقلا وملك الابواب اصبح يشوبها الصراع والعداء الواضح بالرغم من تلك الفترة القصيرة من العلاقات الودية التى أظهرها ملك الابواب عندما لجأ اليه الملك سمامون فارا من وجه المماليك.

وتوج الصراع بين ملك دنقلا وملك الابواب محاولة كل منهما كسب السلطان المصرى إلى جانبه يقول ابن عبدالظاهر "وفى شهر رمضان من هذه السنة(١٢٨٦م) وصلت رسل ملك الابواب المسمى "أدر" وأحضروا فى الهدية فيلا وزرافه. ووصل كتابه ببذل الطاعة والتقرب إلى مراضى مولانا السلطان ويشكون من ملك دنقلا(٥١)". وفى تطور آخر امسك ملك دنقلا رسول السلطان المملوكى إلى ملك الابواب واراد قتله(٥٢) وقد قابل ملك الابواب هذا التصرف بالمثل "حيث كان ملك دنقلا اكثر شكواه من ملك الابواب وانه كان سير وحصل وحوشا كثيره ليحضرها فى جملة هديته فاغار عليها ملك الابواب واخذها وقتل من كان معها وقال أن متملك الابواب ربما يحضر إلى الابواب السلطانية وسأل أن لا يسمع كلامه فيه (٥٣)"

وبلغ العداء بين المملكتين أن تم قفل طريق دنقلا فى وجه ملك الابواب الذى اضطر لارسال رسله عن طريق عيذاب(٥٤) وكثرت شكاوى ملك دنقلا من ملك الابواب حيث يشير ابن عبدالظاهر" وكان فى صفر من هذه السنة(١٢٩١م) استدرك الملك أى متملك دنقلا وبلاد النوبه ما كان فرط من تأخير البقط المقدر على ملك تلك البلاد لاجل خرابها وماكان شملها من الخراب بسبب دخول العساكر الاسلامية كرة بعد كرة واحتج بصاحب الابواب الملك أدر اذ انه قد زاد بلاده خرابا إلى خرابها وذهابا إلى ذهابها وسوادا إلى سوادها وفسادا إلى فسادها (٥٥)".

ونلاحظ فى هذا الصراع أن ملك الابواب قام بمحاولات ليكسب ود السلطان المملوكى فى مصر على حساب ملك دنقلا، فهو يقبض على الملوك الفارين الملتجئين إليه ويرسلهم إلى مصر وهو يرسل الرسل والهدايا إلى السلطان المملوكى فى مصر ويجد اعترافا من السلطان المملوكى الذى يرسل اليه الرسل" يقول ابن عبدالظاهر أيضا" وفى العشرين من ذى القعده من هذه السنة (١٢٨٦م) جهز الامير علم الدين سنجر المعظمى رسولا إلى ملك النوبه أدر ملك الابواب والى صاحب باره والى صاحب التاكه . . الخ(٥٦)".

علاقة الابواب بمملكة علوة:-

الاشارة الوحيدة إلى أن الابواب ولاية تابعة لعلوة وردت عند ابن سليم فى قوله "وعليها وال من قبل صاحب علوة يعرف الواحواح(٥٧)" واشارة ابن سليم هذه وردت فى فترة متقدمه جدا من العهد المسيحى قبل عام "٩٩٦" ولم ترد عند أى من المؤرخين اللاحقين أى اشارة إلى أن الابواب تابعة لعلوة. وقد وردت اشارة واضحة

إلى أن الابواب ليست تابعة لملكة المقره، وذلك عندما هرب اليها داوؤد اشار النويرى بأنها "ليست داخله فى مملكته"[٥٨] أى ليست تابعه لمملكة دنقلا.

ومن الراجح انه بتطور هوية الابواب فى الفترة المسيحية المتأخرة والتى شهدت ضعف وتفكك مملكة دنقلا نتيجة لتدخلات المماليك المتكررة أخذت الابواب تلعب دورا نشطا ومؤثرا. وبالنسبة لعلاقتها بعلوة ليس هناك من الاشارات ما يوضح هذه العلاقاة ولكن يبدو أن الابواب اكتبست لنفسها ذاتيه شبه مستقله، قد تؤيد رأى آدمز الذى يقول "ولكن المنطقة الصخرية غير المنتجة بين الشلالين الرابع والخامس يمكن أن تمثل منطقة عازله بطريقة فعاله ومن المحتمل أيضا أن سكانها القليلين لم يكن لهم ولاء لأى من ملك دنقلا أو علوة[٥٩]".

ويمكننا استنتاج تطور الابواب فى الفترة المسيحية الاخيرة من ولاية شماليه تابعة لعلوة إلى مملكة من ممالك النوبه لها استقلال ذاتى وعلاقات خارجيه ونشاط منفرد.

وقد ذكر القلقشندى الابواب مطلقا عليها لقب مملكه وعلى صاحبها لقب ملك فى قوله "فانهزم داوؤد ولحق بمملكة الابواب من بلاد السودان فقبض عليه ملكها[٦٠]" وهو هنا يطلق بوضوح على الابواب كلمتى مملكه وملك. ويقول القلقشندى أيضا" وبعث الملك الناصر إلى ملك الابواب فى أمر كرنبس[٦١]" وهو هنا يشير إلى ملك الابواب يخاطبه ملك مصر مما يعنى الاعتراف به من قبل السلطان المصرى، ويقول النويرى، وأما الملك داوؤد فانه هرب إلى جهة الابواب فقاتله صاحبها الملك أدر[٦٢]" وهنا تشير المصادر العربية إلى ملك محدد الاسم لمملكة الابواب. ويقول ابن عبدالظاهر "وصل كتاب ملك الابواب[٦٣]" وهنا نجد ملك الابواب يرسل المراسلات بأسمه للسلطان المملوكى فى مصر ويقول ابن عبدالظاهر ايضا " وفى العشرين من ذى القعدة من هذه السنة(١٢٨٦م) جهز علم الدين سنجر المعظمى رسولا إلى ملك النوبه أدر ملك الابواب والى صاحب باره وإلى صاحب التاكه. الخ[٦٤]" وهنا نجد أن السلطان المملوكى يخاطب ملك الابواب بلفظ ملك النوبه وملك الابواب فى مقابل صاحب التى يطلقها على حكام الجهات الأخرى.

ويقول ابن ابى الفضائل "وكان الملك داوؤد لما هرب قصد ملك الابواب وهو ملك من ملوك النوبه له اقليم متسع[٦٥]" وهنا يصف ابن ابى الفضائل ملك الابواب بأنه ملك من ملوك النوبه وله اقليم متسع.

وهذه الاشارات المتكرره لإطلاق كلمة ملك ولفظ مملكه للابواب وملكها، قد

تعنى بأن هذه المصادر اصبحت تنظر إلى الابواب كمملكة ذات ذاتية خاصه، وبالرغم من العلاقات المتطوره بين الابواب والسلاطين فى مصر فان أى من المصادر لم تشر إلى أن الابواب تابعه لعلوة. مما يدل على أن اسقاط هذه الاشارات قد يعنى نظر هذه المصادر إلى الابواب كمملكة مستقله من ضمن ممالك النوبه فى تلك الفترة المتأخرة من العهد المسيحى التى شهدت ارتخاء قبضة الحكومة المركزية فى دنقلا وعلوة وضعف هيمنتها علي الاطراف.

أسباب ازدهار مملكة الابواب:

١- الموقع الأمنى:

يبدو أن الاهمية الاساسية للابواب كانت بسبب موقعها الامنى الذى أثبت فعاليته فى الفترة التى تعرضت فيها مملكة دنقلا إلى غزوات المماليك المتكررة. وقد ظهرت أهمية المنطقة عندما كانت قوة المماليك الحربية الرئيسية (المراكب والحراريق) تقف عاجزه امام حصانة الابواب التى لا تستطيع هذه القوة الوصول إليها نسبة لصعوبة اجتياز الشلال الرابع وكذلك كانت العساكر المملوكيه التى تطارد الملوك الهاربين تقف عاجزه عندما يصل الملك الهارب إلى منطقة الابواب بجزرها الحصينه ونلاحظ فى كل غزوات المماليك بدنقلا انها لم تحاول اخضاع مملكة الابواب لها وانها كانت العقبه التى تقف عاجزه عندها.

ولذلك نجد أن الابواب كان لها دور كعمق استراتيجى وملجأ آمن لملوك دنقلا عند هزيمتهم فى صراعهم مع المماليك. وعند انهزام أى من هؤلاء الملوك يقوم بالهروب طلبا للامان فى الابواب. وقد فعل ذلك الملك داوؤد يقول ابن ابى الفضائل "وكان الملك داوؤد لما هرب قصد الابواب(٦٦)"وفعل الملك سمامون نفس الشئ" فخاف من مجئ الحراريق والمراكب فانهزم إلى جهة الابواب(٦٧)" وعن كرنبس يقول النويرى "فلما وصلوا إلى دنقلا فارقها متملكها كرنبس واخوه أبرام وتوجها إلى جهة الابواب(٦٨)" وهذا اللجوء المتكرر من قبل ملوك دنقلا إلى الابواب (بالرغم من انها لا تتبع لهم) يدلنا على الاهمية الاستراتيجية للابواب فى تلك الفترة المضطربة، وبروزها كموقع دفاعى وأمنى بالنسبه لملوك دنقلا وقساوستها وسكانها اذ أن الجميع كانوا يهربون اليها مع الملوك. ومما يدلنا كذلك على الموقع الجغرافى الآمن للابواب أن المماليك وقفوا عاجزين امامها ولم يمكنهم الوصول إلى الملك الهارب اليها ورجوعهم عن مطاردته وأن المماليك بالرغم من تفوقهم الحربى مقارنة بقوة النوبه الا أن أهم اسباب تفوقهم الحربى من مراكب وحراريق لم تتمكن من

الوصول إلى هذه المنطقة المحمية من جهة الشمال بالشلال الرابع الذى يستحيل عبوره بالمراكب ضد التيار. وقد ذكر النويرى أن الجيوش المملوكيه المطاردة لم "تصبحهم حراقه ولا مركب لتوعر البحر بالاحجار(٦٩)".

وبالرغم من النشاط الواضح لملك الابواب وايوائه لملوك دنقلا الهاربين الا أنه لم يتعرض لغزو من المماليك بالرغم من خوفه منهم وذلك نتيجه لحصانة المنطقة وعجز المماليك عن دخولها. ويدلنا لذلك ايضا أن الحملة المملوكية التى وصلت إلى الابواب قادمة من منطقة الهلنكة (كسلا) لم تستطع الوصول إلى مقر ملك الابواب بالرغم من وجودهم فى منطقته، يقول النويرى" ثم انتهوا إلى قبالة الابواب فتوجه سيف الدين ابوبكر والى الليل الرسليه إلى متملك الابواب فخاف ولم يأت إلى العسكر وارسل اليهم بمئاتى رأس بقر وأغنام(٧٠)"، وهذا يعنى أن العسكر لم يستطيعوا الوصول إليه مما يرجح انه كان متحصنا فى جزيرة أو فى الغرب ولم يتمكن العساكر المملوكيه من الوصول إلى مكانه الذى يتحصن فيه.

ويبدو أن ماحدث للعمرى فى هذه المنطقة كان درسا يدلنا على فعاليتها الامنية. والعمرى الذى حاول محاربة النوبه فى هذه المنطقة أثناء تعدينه للذهب، محاولته هذه كانت نهاية نشاطه كما يورد المقريزى" وانحازت النوبه إلى الغرب بالمراكب بجميع مالهم فاختار العمرى جماعة من اصحابه وامرهم بنفخ القرب والعبور عليها ليلا وكبس النوبه وأخذ المراكب منهم واوقع القوم بالنوبه فظفروا بهم ووصلوا إلى الجزائر والغرب بالمراكب التى أخذوها . . ثم ان زكريا هجم على القوم وهم غادون وقتل منهم مقتله عظيمه. فانهزم العمرى واصحابه وتركوا جميع مامعهم لا يلوون على شئ منه. وانحدر من كان فى الجزائر منهم فى مراكب وكانوا يتقوون بها ويحمل اليهم الطعام من الجزائر. فدس اليهم زكريا رجلا مشهورا بمعرفة طريق الجنادل. فاخذه العمرى واحسن اليه ودفع اليه مالا على ان يجوز بهم الجنادل، فأمرهم بشد المراكب بعضها الى بعض وركب فى أولاها وسار بهم فسلك طريقا غير مسلوكه حتى وقعوا فى الهلكه ثم تركهم ونجا بنفسه عوما فى البحر فغرق الجميع وتلف جميع ما بقى لهم من السلاح والرجال وضعفوا فلم يتمكنوا من الاقامه(٧١)".

ومن هذا نصل إلى أن هذه المنطقة الحصينه المحميه بالجزر والشلالات كانت عائقا اساسيا أمام تقدم المماليك وكانت الحد الفاصل لتأثيرهم الحقيقى. ومن هنا كان اهم اسباب بروز الابواب هو الموقع الجغرافى الحصين -فى ذلك الوقت المضطرب - والذى لم يكن للوسائل الحربية التقليديه فرصه فى التغلب عليه.

٢- اللاجئون المسيحيون:-

منطقة الأبواب بموقعها الأمنى الطبيعى الحصين وكونها امتدادا جغرافيا وثقافيا لأرض النوبه شمالها، برزت أهميتها كملجأ يفر اليه ملوك دنقلا وقساوستها واتباعهم ومواطنيهم امام الغزو المملوكى المتكرر والمدمر . يقول النويرى فى ذكر غزوتى المماليك للنوبه فى عام ١٢٨٧م، "وأما ماعدا ذلك من البلاد التى لم يكن لجريس عليها ولايه فأنها اخليت طاعة لمتلك النوبه، فكان العسكر ينهب ما يجده بها ويقتل من تخلف من أهلها بها ويرعوا زروعهم ويحرقوا سواقيهم ومساكنهم إلى أن انتهوا إلى مدينة دنقلا فوجدوا الملك قد اخلاها وأجلا أهلها ولم يجد الامراء بها الا شيخا كبيرا وعجوزا"(٧٢) "وطارد المماليك الملك الذى هرب منهم إلى منطقة الابواب. وقد هرب مع الملك علية القوم . . . كما أشار إلى ذلك النويرى "ففارقه من كان معه من السواكره – وهم الامراء – وفارقة أيضا الاسقف والقسوس، ومعهم الصليب الفضه الذى يحمل على رأس الملك وتاج المملكه وطلبوا الامان ودخلوا فى الطاعة(٧٣)" وهذا يدلنا على أن عددا كبيرا من سكان مملكة دنقلا بكل فئاتهم كان يهرب مع الملك إلى منطقة الابواب طلبا للامان من قسوة المماليك. وقد اشار ابن عبدالظاهر إلى الوضع الرهيب من التدهور الذى وصلت اليه الاحوال فى دنقلا بقوله "ولما كان صفر من هذه السنة (٦٩١هـ/١٢٩١م) استدرك الملك أى متملك دنقلا وبلاد النوبه ماكان فرط من تأخير البقط المقرر على ملوك تلك البلاد لاجل خرابها وما كان شملها من الخراب بسبب دخول العساكر الإسلامية اليها كرة بعد كرة . . (٧٤)".

هذه الظروف الامنية فى منطقة دنقلا والتهديد والغزوات المتكررة للمماليك أدت إلى نزوح كثيف للاجئين مسيحيين من منطقة دنقلا واستقروا فى منطقة الأبواب مما جعل منها منطقة ذات كثافة سكانية عاليه فى هذه الرقعة الضيقة الضيقة من الأرض، ويشير هيكوك أن طبيعة آثار الفترة المسيحية المتأخرة فى هذه المنطقة" من تركز القلاع والكنائس المسيحية فى هذه المنطقة بين الشلالين الرابع والخامس تشير إلى أن المنطقة كانت توجد بها كثافة سكانية عاليه من اللاجئين المسيحيين وغالبا ما كان ذلك قد حدث فى القرنين الثالث عشر أو الرابع عشر – كما حدث شبيه لذلك فى منطقة الشلال الثانى وبطن الحجر(٧٥)".

هذه النسبة العالية من سكان منطقة دنقلا الذين لجأوا إلى الأبواب وهى منطقة تشبه منطقتهم من الناحية الثقافية والايدولوجية أدت إلى ازدهار عمرانى وزراعى شديد فى المنطقة فى الفترة المسيحية المتأخرة كما تدل الآثار المنسوبة لتلك الفترة

- فقد حدث تكثيف للزراعة وتم استثمار كل الأراضى الصالحة للزراعة فى الجزر فى المنطقة. وأصبحت المنطقة شديدة العمران وكثيفة القرى وكثرت الكنائس فى المنطقة مما يدل على أن المنطقة اصبحت منطقة تسكنها مجموعة مسيحية كبيرة تشعر بالتهديد وتحتاج إلى ترتيبات دفاعية وأمنية بصورة ملحه.

وقد مكنت هذه الكثافة السكانية العالية والشعور بالتهديد من قيام مملكة الأبواب ببناء تحصينات دفاعية فى كل مداخل ومخارج المنطقة وكذلك عدد كبير من ابراج المراقبة والاستطلاع[٧٦]. ويقول هيكوك أيضا عن آثار المنطقة "أن بعض القلاع المشيدة بضخامة ظاهرة والمبنية فى مناطق بعيدة ومهجورة تحميها الشلالات كتلك التى تقع جنوب العشير وفى كورتا قد تكون شيدت فى هذه الاماكن لحماية المنطقة من الغزو الخارجى[٧٧]" هذا وقد لفت نظر دارسي الآثار ذلك العدد الضخم من الحصون والقلاع المبنية بين الشلالين الرابع والخامس والتى تنسب إلى الفترة الأخيرة من العهد المسيحى[٧٨] ولابد أن هذه الاستراتيجية الدفاعية مكنت من تحقيقها الكثافة السكانية العاليه للاجئين مسيحيين تكدسوا فى هذه المنطقة الصغيرة فى الفترة الأخيرة من العهد المسيحى هاربين امام الغزو المتكرر لقوات المماليك.

ومن ناحية أخرى ادى الفائض السكانى الكبير والتهديد المباشر إلى تنظيم مملكة الأبواب نفسها فى قوة عسكرية دفاعية وجيش له نشاط واسع خارج المنطقة. ونجد أن ملك الأبواب فى الفترة الأخيرة من العهد المسيحى قد أنشأ قوة عسكرية يحسب حسابها في ذلك العهد المضطرب، وقد اشتكى ملك دنقلا من تعدى ملك الأبواب "واحتج بصاحب الأبواب الملك أدر، وأنه قد زاد بلاده خرابا إلى خرابها وذهابا إلى ذهابها وسوادا إلى سوادها وفسادا إلى فسادها[٧٩]" ونجد أن جيش ملك الأبواب أصبح يعترض نشاط ملك دنقلا، يقول ابن عبدالظاهر "أن ملك النوبه دنقلا" أكثر شكواه من ملك الأبواب. وأنه كان سير وحصل وحوشا كثيره ليحضرها فى جملة هديته، فأغار عليها متملك الأبواب وأخذها وقتل من كان معها[٨٠]" ومما يدلنا على أن ملك الأبواب يملك جيشا ذو نشاط واسع يطارد به الملوك يقول ابن عبدالظاهر ايضا" ووصل كتاب ملك الأبواب وهو يذكر فيه أنه ما أخره من الحضور بنفسه الان أنه ساق" جيشا" خلف الملك آنى، وأن بلاد الانج تغلب عليها ملك غير ملكها، وأنه متحيل فى اخذها منه وإذا أخذها صار جميع بلاد السودان فى قبضة مولانا السلطان وطاعته[٨١]" ومن هذا نصل إلى أنه نتيجة للوضع الأمنى الفريد للابواب والكثافة السكانية العالية من اللاجئين المسيحيين صارت مملكة الأبواب مملكه نشطه ومترابطة نتيجة للتهديد الخارجى والايديولوجية

المسيحية وانها أصبحت منطقة دفاعية شديدة التحصين وتحميها القلاع والحصون بالاضافة إلى الشلالات والجزر التى كانت تمثل تحصينات طبيعية وانها تملك جيشا مؤثرا له نشاط واسع فى المنطقة تحس أثره المناطق الأخرى حوله.

التجارة والطرق التجارية:-

كانت مملكة المقره تعتمد اعتماداً كبيراً فى ازدهارها على التجارة كوسيط للبضائع ذات المنشأ الجنوبى والبضائع الواردة من الخارج وقد كانت هى المنفذ لتجارة النوبه والسودان فى ذلك الوقت - ولكن باضطراب الاحوال فى مملكة دنقلا والفوضى السياسية التى اصابتها فى العهد الأخير للفترة المسيحية - أدت إلى فقدان هذا الدور - الذى يبدو أن ملك الأبواب قد استفاد منه واصبح المسيطر على هذه التجارة، ويقول الاب فانتينى عن ذلك "أن توقف تجارة الترانزيت والتى كانت تعطى النوبه السفلى: عوامل ازدهارها، هذا التوقف، ساهم فى التدهور السياسى للاقليم. وصار العرب والبدو يتوغلون اكثر فى داخل النوبه ووجدوا فى حياة الصحراء بديلا للنيل. وقد بدأوا يعرفون الطرق الصحراوية من اسوان إلى كورسكو واصبحت القوافل تصل إلى النيل فى نقاط عديده جنوب الشلال الثانى فى عبرى وجنيس وابوحمد" وبهذا استطاعوا تفادى (فرص) والشلال الثانى بما تحويها من نقاط للجباية والجمارك. وادى توقف تجارة الترانزيت ببعض النوبيين المشتغلين بالمهن (المرتبطة بالتجارة) إلى هجرها مثل اصحاب المراكب الذين اصبحوا يبحثون عن أعمال أخرى(٨٢)".

وكدليل على أهمية التجارة فى ازدهار مملكة المقرة نشير هنا إلى الأهمية القصوى التى كان يضعها ملوك دنقلا لهذه التجارة وتعيين أهم ولاة دنقلا "لمراقبتها هذه التجارة" ويصف ابن سليم ضبط ملك النوبه للتجارة بقوله "فى هذه الناحية بجراش مدينة المريس وقلعة ابريم وقلعة أخرى دونها وبها ميناء تعرف بادواء.. ولهذه الناحية وال من قبل عظيم النوبه يعرف بصاحب الجبل وهو من أجل ولاتهم لقربه من أرض الإسلام. ومن يخرج إلى بلد النوبه من المسلمين، فمعاملته معه فى تجارة أو هدية اليه أو إلى مولاه يقبل الجميع ويكافى عليه بالرقيق ولا يطلق لاحد الصعود إلى مولاه (٨٣)" وقوله أيضا " وأول الجنادل من بلد النوبه قريه تعرف بتقوى، وهى ساحل ولا تتجاوزها المراكب ولا يطلق لاحد من المسلمين ولا من غيرهم الصعود فيها الا بأذن من صاحب جبلهم . وصاحب الجبل واليهم والمسلحة بالمقس الاعلى صاحبها من قبل كبيرهم (وهو) شديد الضبط لها. حتى أن عظيمهم إذا صار بها وقف به المسلحى وأوهم أنه يفتش عليه حتى يجد الطريق إلى ولده

ووزيره فمن دونهما.. ولا يجوزها درهم ولا دينار. إذ كانوا لا يتبايعون بذلك الا دون الجنادل مع المسلمين، وما فوق ذلك لا بيع بينهم ولا شراء وانما هى معارضه بالرقيق والمواشى والجمال والحديد والحبوب".. ولا يطلق لاحد يجوزها الا باذن الملك ومن خالف كان جزاوءه القتل كائنا من كان[٨٤]".

هذه التجارة الهامة والتى كان لملك النوبه سيطرة تامه عليها كانت من أهم عوامل ازدهار مملكة المقرة. ويبدو أن الاضطراب فى أحوال المملكه فى دنقلا جعل السيطرة على هذه التجارة ضعيفاً. فالاحوال فى مملكة المقره كانت اقرب إلى الفوضى فى آخر ايامها كما يصفها ابن خلدون "ثم انتشرت احياء العرب من جهينه في بلادهم واستوطنوها وملكوها وملأوها عبثا وفسادا. وذهب ملوك النوبه إلى مدافعتهم فعجزوا ثم صاروا إلى مصانعتهم بالصهر فأفترق ملكهم.. ولم يبق لبلادهم رسم للملك لما احالته صبغة البداوة العربية من صبغتم بالبداوة والالتحام[٨٥]"

وبأفتقار الأمان والحكومة المركزية القوية عصب هذه التجارة ادى ذلك إلى البحث عن مخارج أخرى لهذه التجارة الواردة اصلا من الجنوب أو من مصر فى الشمال. وبذلك أصبحت الطرق الصحراوية هى الاكثر أهمية حيث يمكن تفادى تلك الانحناءة الكبيرة للنيل والوصول إلى النيل عن طريق الصحراء عند نقاط عديدة منها أبوحمد.

هذه الفوضى وجهت ضربة قاصمة إلى تجارة مملكة دنقلا وأفادت من ذلك مملكة الابواب حيث صارت مصب هذه التجارة الخارجية الهامة، واصبحت هى المسيطرة عليها.

أصبح ملك الابواب يقطع طريق البضائع الواردة إلى ملك دنقلا من الجنوب، ويرسل هداياه إلى سلطان مصر يقول ابن عبدالظاهر "وفى شهر رمضان من هذه السنة (١٢٨٦) وصلت رسل ملك الابواب المسمى أدر، وأحضروا فى الهدية فيلا وزرافه، ووصل كتابه ببذل الطاعة والتقرب إلى مراضى مولانا السلطان [٨٦] وهذه الهدية "فيلا وزرافه" تدل على أن ملك الابواب عرف الطريق للاستفادة من بضائع المناطق الداخليه فى الجنوب ومقدرته على ارسال مثل هذه الهدية يعنى أنه اصبح مستفيدا من هذا النوع من البضائع ذات المنشأ من الاراضى الداخلية للسودان كأهم مواد التجارة الخارجية.

ومن ناحية أخرى نجد أن ملك الابواب يتعرض لما يصل إلى ملك دنقلا من الجنوب، يقول ابن عبدالظاهر فى سنة ١٢٩١ أن ملك دنقلا " أكثر شكواه من ملك الابواب، وانه كان سيّر وحصل وحوشا كثيره ليحضرها فى جملة هديته، فاغار

عليها متملك الابواب واخذها وقتل من معها"[٨٧] ويبدو أن شكوى ملك دنقلا من ملك الابواب ناتجه عن تعرضه لهذه التجارة وتدخله فيها وان ذلك الاثر المدمر لسيطرة ملك الابواب وتهديده لطريق التجارة الواردة إلى دنقلا هى ما عكسه ابن عبدالظاهر من أن ملك دنقلا ارسل يعتذر للسلطان المملوكى عن دفع البقط" واحتج بصاحب الابواب الملك أدر، وانه قد زاد بلاده خرابا إلى خرابها وذهابا إلى ذهابها وسوادا إلى سوادها وفسادا إلى فسادها[٨٨]"

الطرق التجارية:-

طريق ابوحمد كورسكو:-

باضطراب الاحوال فى مملكة دنقلا وانتشار الفوضى فيها نتيجة للتدخل العسكرى المتكرر للمماليك بالاضافة إلى انتشار احياء العرب، وما صاحب ذلك من ضعف قبضة ملوك دنقلا على الامور فيها - يبدو أن ذلك كله أدى إلى حالة من انعدام الامن عصب التجارة الخارجية. ونتيجة لهذه الحالة فى مملكة دنقلا أصبحت القوافل التجارية تبحث لها عن منافذ تتفادى فيها هذه المنطقة[٨٩]. وبدأت القوافل التجارية تطرق الصحراء، فى اماكن عديده ومن أهم هذه الطرق الصحراوية كان طريق ابوحمد كورسكو. وهو الطريق الذى يفارق النيل عند ابوحمد ويصل إلى النيل مرة أخرى فى جنوب مصر وهو بهذا يتفادى الانحناءة الكبيرة فى النيل بما فيها مملكة دنقلا.

وطريق ابوحمد كورسكو طريق قديم يقول عنه ادمز "من الثابت أن طريق كورسكو اصبح الرابط الاقتصادى الرئيسى بين السودان ومصر فى القرن الأخير قبل الميلاد. وكان تطوير هذا الطريق من أهم عوامل الازدهار لمروى. وذلك لانه قصر المسافة إلى النصف بالنسبة للقوافل. وكان طريق كورسكو هذا فى كل الاحتمالات هو أكبر عامل منفرد ساهم فى سطوع نجم مروى وكسوف شمس نبتا[٩٠]".

ومن المحتمل أن هذا ماحدث فى اواخر الفترة المسيحية فان احياء هذا الطريق مرة أخرى ساعد فى تدهور مملكة دنقلا كما يقول الاب فانتينى[٩١] ومن ناحية أخرى ساعد هذا الطريق للتجارة فى ازدهار مملكة الابواب ولا يستبعد أن طريق ابوحمد كورسكو صار أهم منفذ للتجارة الخارجية فى ذلك الوقت. ونلاحظ هنا أن تفادى انحناءة النيل الكبرى ساعدت فى تقصير المسافة ولم تؤثر على حجم ونوعية التجارة لان البضائع فى الاصل ترد من المناطق الداخلية، ومملكة دنقلا لم تكن تمثل غير الوسيط في هذه التجارة.

وتشير المصادر إلى أن ملك الابواب استعمل هذا الطريق عندما تدهورت العلاقات بينه وبين ملك دنقلا، الذى امسك رسل السلطان المملوكى إلى ملك الابواب "وعزم على اتلافهم" كما يقول ابن عبدالظاهر فى عام ١٢٨٦م وحضر رسل ملك الابواب عن طريق عيذاب(٩٢)، وهذا يدلنا على تفادى ملك الابواب لطريق دنقلا واستعماله للطريق الصحراوى فى ارسال رسله لمصر.

طريق ابوحمد سواكن:-

الطريق التجارى الثانى فى الاهمية هو طريق البحر الأحمر كمنفذ للتجارة الخارجية. ويبدو أن ميناء سواكن بدأت فى الازدهار والمشاركة فى التجارة الخارجية الواردة من الأراضى الداخلية فى السودان. ويبدو أن ازدهار سواكن لم يجد رضى المماليك الذين وجهوا لها حملة لاخضاعها فى عام ١٢٦٥م(٩٣).

وفى عام ١٣١٧م قام صاحب سواكن بالالتزام بدفع ضريبة للسلطان المملوكى قيمتها ٨٠ رأسا من الرقيق و٣٠٠ من الابل و٣٠ قنطارا من العاج" وهذه البضائع الثلاثة توضح بأن سواكن صارت بالتأكيد منفذا لبضائع السودان(٩٤)" كما يشير لذلك يوسف فضل.

ومنذ زمان ابن سليم نجد الاشارة إلى طريق بين المنطقة التى تقع فيها الابواب وسواكن يقول ابن سليم عن هذه المنطقة "وهى الناحية التى تبلغ العطوف من النيل إلى المعدن المعروف بالشنكه وهو بلد يعرف بشنقير، ومن هذا الموضع طرق إلى سواكن وباضع ودهلك وجزائر البحر" (٩٥)".

وفى فترة لاحقه نجد أن طريق ابوحمد سواكن وبربر سواكن كانا من أهم الطرق التى اشتهرت فى فترة الفونج.

ومملكة الابواب بموقعها المتميز والمسيطر على هذين الطريقين الهامين - أبوحمد كورسكو - أبوحمد سواكن، صارت هى المصب والمورد للتجارة الخارجية. فى تلك الفترة وبذلك اصبحت فى وضع أفضل من دنقلا بالنسبة للهيمنة على التجارة الخارجية من منابعها الداخلية ويبدو انها اصبحت تلعب الدور الذى كانت تقوم به مملكة دنقلا بالنسبة لهذه التجارة. (أنظر الخارطة رقم ٣).

وهذه الطرق التجارية اصبحت رافدا هاما ساعد فى ازدهار مملكة الابواب. واتاحت لها ثروة اقتصادية اضافية ناتجة عن السيطرة على الطرق التجارية بما يعنيه ذلك من امكانية المشاركة فى هذه التجارة بالاضافة إلى فرض الضرائب والمكوس فى مقابل تقديم خدمات الحماية والأمن.

وقد يفسر لنا هذا العائد الاقتصادى من الطرق التجارية ذلك الازدهار فى البناء الذى شهدته منطقة الابواب فى الفترة المسيحية المتأخرة. فهذا العدد الكبير من القلاع والكنائس والمبانى المنتسبة إلى الفترة المسيحية المتأخرة فى هذه الرقعة الضيقة وفى زمن وجيز لابد انه كان نتيجة لفائض اقتصادى كبير لاتتيحه هذه الرقعة ذات الاراضى الزراعية المحدودة.

ونقدر هنا بأن بعضا من القلاع والحصون فى مملكة الابواب كانت بالرغم من قيمتها الامنية الا أنها كانت تشكل من ناحية أخرى محطات محروسة لتجميع البضائع وان القوافل اصبحت تسافر فى طريق سواكن أو عبر الصحراء إلى مصر تحت حماية وحراسة جيش ملك الابواب.

معدن الذهب:-

يقدر يوسف فضل أن المنطقة التى تعرف بشنقير والتى يوجد فيها المعدن المعروف بالشنكه والتى مارس فيها العمرى نشاطه فى تعدين الذهب هى المنطقة بين الشلالين الرابع والخامس[٩٦]. ويقول ابن سليم عنها "وهى الناحية التى تبلغ العطوف من النيل إلى المعدن المعروف بالشنكه وهو بلد يعرف بشنقير- ومنه خرج العمرى، وتغلب على هذه الناحية وكان من أمرة ما كان[٩٧]". ويقول المقريزى عن نشاط العمري" وسار إلى النوبه فى غفله منهم فوقع بموضع يعرف بشنقير قبلى مدينة دمقله بنحو من شهرين. والنيل ينعطف فى هذا الموضع إلى مطلع الشمس حتى يصير بينه وبين الشنكه بعض نهار يوم، ثم يعود إلى الغرب ويرجع إلى الشرق، فبهذا التعطف طالت المسافة على سالك النيل[٩٨]".

وهذا الانعطاف للنيل الذى "ذكره" يرجح لدينا أن المنطقة الموصوفة تقع قبل انعطاف النيل إلى الغرب عند ابوحمد، لأن المقريزى ذكر أن النيل ينعطف أولا إلى الشرق، وهذا يدل على أن المنطقة الموصوفة تقع قبل ابوحمد وليس بعدها. ويقول ايضا بأن النيل ينعطف فى هذا الموضع إلى مطلع الشمس حتى يصير بينه وبين الشنكه بعض نهار يوم - ومن المعروف أن هذه المنطقة (بين الشلال الرابع والخامس) هى أقرب نقطة بين النيل والبحر الأحمر. والصحراء الشرقية بين النيل والبحر الاحمر توجد فيها مناجم للذهب. ونورد هنا بأن الخارطة الجيولوجية للسودان توضح أن الصحراء الشرقية بين هذه المنطقة والبحر الاحمر غنيه بمواقع تعدين الذهب[٩٩]. (أنظر الخارطه رقم٣).

ونلاحظ بأن العمرى عندما سار إلى النوبه وقع بموضع يعرف بشنقير ونرجح أن يكون المقصود هنا هو الوادى المعروف بوادى السنقير الغني بمعدن الذهب والذى يصب فى النيل فى موقع الشلال الخامس غرب محطة الكربه وجزيرة العشير.

ومما يرجح أيضا بأن نشاط العمرى كان فى هذه المنطقة هو كثرة الجزر والشلالات التى واجهها العمرى فى صراعه مع النوبه، يقول المقريزى"واوقع القوم بالنوبه فظفروا بهم، ووصلوا إلى الجزائر والغرب بالمراكب التى اخذوها؛ ويقول أيضا "وانحدر من كان فى الجزائر منهم فى مراكب وكانوا يتقوون بها، ويحمل اليهم الطعام من الجزائر. فدس اليهم زكريا رجلا مشهورا بمعرفة طرق الجنادل[١٠٠].

ونلاحظ أن محاولات العمرى فى التعدين عن الذهب فى هذه المنطقة أثارت غضب ملك المقره وقد كانت مملكة المقره فى تلك الفترة فى أوج ازدهارها وسيطرتها على الامور (حوالى عام ٨٥٥م) مما دفع النوبه إلي محاربته عندما حاول الوصول إلى النيل من أجل الماء يقول المقريزى "وأمر الناس بالورود.. فانكرت النوبه شأنهم، وقبضوا على جماعة منهم فصار اليهم والتمس خلاصهم، بعد أن ارسل وتلطف وبعد عطش شديد نالهم بتأخر الوراد، حتى بلغت الشنكه من الماء درهمين تبرا فعرف ذلك المعدن من حينئذ بالشنكه". وسأل العمرى النوبه أن يجعلوا له ولاء صحابه طريقا للورود إلى الماء لايتجاوزون حدها، فامتنعوا من ذلك، وقتلوا من أسروا من اصحابه[١٠١]". ولم يسكت ملك النوبه على نشاط العمرى التعدينى فى هذه المنطقة "وكان ملك النوبه حينئذ قيرقى ابن زكريا بن يحنس، فندب لقتال العمرى "نيوتى بن قشما، وكان شجاعا ودفع اليه اكثر رجاله، فوقعت بينهما وقائع وحروب يطول شرحها[١٠٢]" وباختصار فان تعدين العمرى فى هذه المنطقة واجهته النوبه مواجهة ضاريه حتي استطاع ملك النوبه أن يجلى العمرى من هذه المنطقة ونستدل من بعض ماجاء عند المقريزى أن النوبه كانت تعرف هذه المعادن ولها نشاط فيها وذلك أن زكريا اقام عند العمرى اياما فى ارض المعدن "وافتقد (زكريا) دفائن كانت لهم فوجدها بحالها لم يعلم بها المسلمون فاطلع العمرى عليها وسلمها اليه ومضى إلى مواضع اخرى، فاخرج ما فيها ودفعه اليه أيضا[١٠٣]" وهذا مايوضح أن النوبه كانت تعرف اماكن المعادن هذه ولها فيها دفائن مخبأة.

ومن هذا يتضح أن المناطق التعدينية للذهب فى المنطقة المتاخمة لملكة الابواب

كانت معروفه وكان ملك المقره يسيطر عليها ويدافع عنها لاهميتها بالنسبة لمملكة المقرة ويبدو أن هذه المناجم للذهب عندما ضعف ملوك دنقلا سيطر عليها ملك الابواب واستفاد منها وكانت رافدا اضافيا لازدهار مملكة الابواب.

مصير مملكة الابواب:

من الراجح أن مملكة الابواب برزت وكان لها نشاط واضح فى القرنين الثالث عشر والرابع عشر الميلاديين كما تشير إلى ذلك المصادر العربية التى استعرضنا معطياتها فى هذه الدراسة. وبالرغم من أن تلك الفترة تلتها فترة من الغموض الشديد فى الأحداث فى منطقة النوبة والسودان عامة حتى بداية فترة الفونج. ولكن بالرغم من ذلك نجد اشارة من اثيوبيا عند المبشر المسيحى الفارز الذى زار اثيوبيا بين سنتى ١٥٢٠-١٥٢٧. وقد أعطى الفارز وصفاً لأحوال منطقة مافى النوبة نرجح بأنها منطقة الابواب. يقول الفارز "سمعت من رجل سورى من مواطنى طرابلس فى سوريا واسمه يوحنا السورى... انه كان فى هذه المنطقة (منطقة النوبة) وان هذه البلاد فيها مائة وخمسين كنيسة مازالت تحتوى على الصلبان ورموز للسيدة مريم العذراء ورموز أخرى مرسومة فى الحيطان وكلها قديمة.

وهذه الكنائس كلها فى قلاع قديمة تنتشر فى المنطقة. وبقدر ماهناك من حصون هناك كنائس بنفس القدر، وبينما كنا فى أرض النجاشى (الحبشة) حضر ستة رجال من هذه البلاد للنجاشى نفسه، يرجون منه أن يرسل لهم قساوسة ورهبان ليعلمونهم أمور دينهم. ولم يستجب النجاشى إلى طلب إرسال القساوسة والرهبان.ويقال إنه قال لهم أنه تحصل على (أبونا) من بلاد المسلمين (يعنى من بطريقية الاسكندرية) التى تحت حكم المسلمين، فكيف له إذا أن يعطى قساوسة ورهبان وهو نفسه يحصل عليهم من الأخرين... ويقال إن هؤلاء (النوبيين) كانوا يحصلون على مايطلبون (رجال دين) من روما. وأنه منذ زمن طويل توفى البطريق الذى جاءهم من روما، وبسبب حرب المسلمين لم يمكنهم الحصول على بطريق آخر. وبذلك فقدوا كل مسيحيتهم. وهؤلاء النوبيون يحاذون مصر ويقولون إنه يوجد ذهب جيد فى بلادهم وهذه البلاد تقع فى مواجهة سواكن التى هى على البحر الأحمر" ويقول أيضاً: "إن هناك عدداً من الاقطاعيات على شاطئ النيل وانهم يقولون أن هناك عدداً من الحصون على قدر العدد الكبير من العقداء (Captains) [١٠٤] وانه ليس لهم ملك ولكن مجرد عقداء [١٠٥]".

وكلام الفارز الذى نقله عن يوحنا السورى يدلنا على حقائق عديدة فى وصف هذه المنطقة:

- إن هذه المنطقة فى أرض النوبة وتقع على النيل.
- إن هذه المنطقة تقع فى مواجهة سواكن.
- إن بهذه المنطقة ذهباً جيداً.
- إن هذه المنطقة بها عدد كبير من الحصون والقلاع.
- إن بهذه المنطقة عدداً كبيراً من الكنائس التى مازالت تحتفظ بموتيفاتها المسيحية.
- إن سكان هذه المنطقة لم يصبحوا مسلمين بعد وإنما هم مسيحيين فقدوا الموجهين الدينيين (القساوسة والرهبان) ومازالوا يأملون فى أن يكونوا مسيحيين.

يرجح شينى إن هذا الوصف الذى ذكره الفارز ينطبق على المنطقة بين الشلالين الرابع والخامس. ويقول: " بأن هذا الوصف يمكن أن ينطبق على دنقلا والتى توجد فيها حصون كثيرة تحوى كنائس. ولكن الاعتراض على هذا الرأى هو أن مملكة دنقلا عرف عنها أنها انتهت فى أوائل القرن الرابع عشر وان انتشار الاسلام فى هذه المنطقة مر عليه قرنين من الزمان وليس من المحتمل أن يكون هذا العدد من الكنائس مازال موجوداً ويشير إلى أن هذا الوصف لا ينطبق أيضاًعلى علوه التى لا توجد فيها حصون معروفة.

ويعتقد شينى فى ان الإجابة على هذه المسألة قد قدمها كراوفورد فى المسح الاثرى الذى قام به بين أتبرا وابوحمد فى دراسته عن " كنائس وقلاع منطقة النيل الأوسط" ويقول شينى:

- إن هذه المنطقة بها عدد كبير من القلاع والحصون ويبدو انها كانت تتبع ثقافياً لدنقلا اكثر من علوه.
- بالرغم من أن التاريخ (Dating) لايزال غير مؤكد ولكن بُعد (Remoteness) وصعوبة الوصول لهذه المنطقة يجعل الاحتمال واردا بأن المسيحية استطاعت البقاء هنا وفى منطقة الشلال الرابع لمدة مابعد سقوط دنقلا. وان الاحتمال وارد بأن الرجال الستة الذين قابلهم الفارز جاءوا من هذه المنطقة.
- إن وصف المنطقة بأنها تقابل سواكن فهذا يرجح الاحتمال بأن المقصود هذه المنطقة. فطريق بربر وسواكن هو من الطرق القديمة المشهورة"[١٠٦].

ونضيف هنا إلي رأى شيني بأن وصف الفارز ان المنطقة كانت تحكم بواسطة

عقداء قد ينطبق على هذه المنطقة إذ أن هذه المنطقة فى فترة الفونج كانت تحكم بواسطة عقداء لكل واحد حصن يتمركز فيه، وقد وحد المنطقة أحد هؤلاء العقداء فى أواخر فترة الفونج وهو العقيد ابو حجل"(١٠٧).

ويعطينا المسح الاثرى الحديث رافداً جديداً للأحداث فى المنطقة بين الشلالين الرابع والخامس قد تؤكد ترجيح أن وصف الفارز ينطبق على هذه المنطقة. فقد أشار المسح الأثرى إلى ملاحظتين عن آثار هذه المنطقة هما هذا العدد الكبير من القلاع والحصون التى يمكن نسبتها إلى الفترة المسيحية المتأخرة (١٠٨)، والملاحظة الثانية هى العدد الكبير من الكنائس والمقابر المسيحية التى تدل على تركز سكانى كثيف فى هذه الرقعة الضيقة فى الفترة الأخيرة من العهد المسيحى. ويشير هيكوك الذى أشرف على مسح أثرى للمنطقة بين العبيدية وابوحمد إلى ذلك بقوله "هذا التركيز والتجمع للقلاع والكنائس المسيحية بين الشلالين الرابع والخامس تدل على تركز كثيف للاجئين المسيحيين يشبه ماحدث فى منطقة الشلال الثانى وبطن الحجر» ويقول أيضاً: "بأن الطريقة التى احتفظت بها أسماء الأماكن فى المنطقة باسمائها النوبية الحالية توحى بأنه لم تمر قرون كثيرة منذ ان اختفى آخر المتكلمين باللغة النوبية" ويشير أيضاً إلى "انه بدون إجراء حفريات فى المنطقة حول ابوحمد لايمكننا قول الكثير ولكن فى بعض الاماكن في هذه المنطقة مثل فليكول، فإن فخارا من الفترة المسيحية المتأخرة جداً يتواجد جنباً إلى جنب مع فخار فترة الفونج، مما يقود إلى الافتراض بأن بعض المجموعات المسيحية استطاعت البقاء والاستمرار لفترة طويلة فى هذه المنطقة البعيدة عن تيارات التغيير".

ولقد لفتت نظر الذين قاموا بالمسح الاثرى فى المنطقة بين الشلالين الرابع والخامس ان آثار الفترة المتأخرة من المسيحية فى هذه المنطقة تميزت بفترة تيه فى الممارسات الدينية يمكن استقراؤها من طريقة الدفن في بعض المقابر حيث أصبحت شيئاً وسطا بين طريقة الدفن المسيحية وطريقة الدفن الاسلامية. مما يذكرنا بقول يوحنا السورى "بأن أولئك النوبيون يجهلون دينهم فلاهم بالمسيحيين ولاهم بالمسلمين أواليهود، ويقال أنهم كانوا على النصرانية غير انهم فقدوا دينهم ولم تبق لهم عقيدة ويأملون أن يكونوا مسيحيين".

وفى دراسة لمكادم لشواهد قبور مسيحية فى هذه المنطقة ومن قرية الكرو بالتحديد، قدمها له كراوفورد (١٠٩) قام مكادم بفحص عدد من شواهد القبور وقد لفتت نظره القطعة رقم (٦) المكتوبة باللغة القبطية ويقول: "هذا الشاهد (Epitaph) يثير الاهتمام لأنه يحوى احتمالاً لتاريخ محدد فى نهايته، وذلك لأن الحرفين

الأخيرين بتحويلهما لارقام يعطيان الرقم (٣٠٥) والذى يرجح هذا الإحتمال وجود اليوم والشهر فى السطور السابقة، ويصل فى قراءته للقطعة إلى أنها تعطى مايقابل العام ١٥٨٨ الميلادى ولكنه "يجد ذلك غير مقبول فى نظره" لأن ذلك يعطينا تاريخاً يقع فى الفترة المظلمة تاريخياً" وبعد قرنين ونصف من اسلام دنقلا وحكم آخر ملك مسيحى فيها، وكذلك بعد غزو الفونج. ومن ناحية أخرى فمن غير الراجح ان اللغة القبطية إستمرت فى الاستعمال المحلى فى النوبة العليا فى هذا التاريخ إذا لاحظنا أن اللغة القبطية قد تم استبدالها باللغة النوبية فى الوثائق القانونية فى القرن العاشر الميلادى، كما أشار لذلك قريفث (١١٠)" ويقوم عدم قبول مكادم للقراءة لهذا التاريخ ١٥٨٨م على دعامتين: الدعامة الأولى ربطه لمصير هذه المنطقة بمصير دنقلا ويعتقد أن بإسلام دنقلا، انتشر الإسلام في هذه المنطقة أيضاً.

والدعامة الثانية ان اللغة القبطية ليس من المرجح استمرارها بعد القرن العاشر الميلادى. هذه الأسباب التى أوردها مكادم فى عام ١٩٥١ اثبتت الحفريات اللاحقة، والحقائق الجديدة التى إكتشفت بعد ذلك أن الصورة لم تكن كما تخيلها مكادم.

ونعيد هنا حديث هيكوك عن هذه المنطقة التى وجد فيها شاهد القبر "ان فخاراً من الفترة المسيحية المتأخرة جداً يتواجد جنباً إلى جنب مع فخار فترة الفونج، مما يوحى بالافتراض بأن بعض المجموعات المسيحية إستطاعت البقاء والإستمرار لفترة طويلة فى هذه المنطقة البعيدة عن تيارات التغيير"(١١١).

ومن ناحية أخرى أثبتت الحفريات والوثائق المكتشفة حديثاً فى النوبة السفلى أن مملكة صغيرة استطاعت البقاء فى منطقة جبل عدا، وقصر ابريم حتى فترة طويلة بعد سقوط دنقلا سميت باسم "دوتاو" (Dotawo) ووجدت وثائق تحوى إسم الملك جويل المسيحى واسم البطريق حتى عام ١٤٨٤م (١١٢) مما يعنى أن المسيحية حتى فى شمال دنقلا إستطاعت البقاء حتى هذا الوقت المتأخر.

ومن ناحية أخرى نجد الإكتشاف الحديث لرسالة كتبت بواسطة مبشر مسيحى فى القاهرة إلى الكاردينال بيلوقا (Belluga) فى عام ١٧٤٢م يقول فيها "قبل أيام قليلة ماضية أمدنى خادم بربرى يعمل معى بمعلومة أثارت دهشتى، وهذه المعلومة تقول، توجد فى قريته واسمها "تنقس"، وهى جزيرة فى النيل، فى مملكة النوبة، مازال فيها بعض المسيحيين، وبالرغم من أنهم عانوا الكثير من المشاكل والقلاقل والحروب من قبل المسلمين لاجبارهم على اعتناق الاسلام وبالرغم من التهديد بالقتل إلا أنهم حافظوا على مسيحيتهم ومازال لديهم دير "ولكنه بدون رهبان" وفى هذا الدير كنيسة جميلة، مزينة بالصور فى الجدران وعلى القماش. (١١٣).

وفى ضوء الحقائق والإكتشافات الجديدة لإستمرار المسيحية فى منطقة النوبة السفلى حتى هذا الوقت المتأخر، تجعل من قراءة مكادم لشاهد القبر فى تاريخ ١٥٨٨ أمراً وارداً ومحتملاً.

ووجدت مخطوطة وطنية فى فترة الفونج، وعثر عليها فى منطقة الرباطاب، وهى تؤرخ لإحدى الأسر الدينية التى نزحت إلى هذه المنطقة من منطقة المحس والشايقية، تقول المخطوطة "ثم ان هذا الشيخ شرف الدين كان قدومه فى زمن ملك العنج، ثم لما مات قدم ابنه عبدالرحمن إلى دار التكاكى واحيا بها مواتاً كثيرة ومعه ابنه محمد الجمه واعطوا كبار العنج أجرة على أن يخبرونهم بعين الماء فيما سمعوه من كبارهم، فلما أعطوهم تلك الأجرة كاد العنج يجعلونها وظيفة عليهم كل عام. وخاصموهم فى ذلك وقطعوا نزاع العنج فى باقى الأيام إلى أن أتت عليهم قبيلة جعل وتغلبوا على ملك العنج بالظفر. ثم سكنوا ماشاء الله فأتتهم الفنج وإستولت على جميع البلاد وأذعنت لهم القبائل"، وتقول المخطوطة أيضاً عن بعض أفراد هذه الأسرة الدينية" وكان سبب تسميتهم بالقراووين أن أولاد مسلم بغوا وتعدوا حدود الله الذى ليس من شأنهم فى العادة الجارية، حتى انهم قطعوا الطريق شرقاً وغرباً وأتتهم بسبب ذلك سرية قوم من العنج وقتلتهم كلهم إلاَّ اثنين نجو بفضل الله بسبب الطفولية"(١١٤). وهذه الأسرة التى تتحدث عنها المخطوطة هى الأسرة التى يعزى إليها إنشاء الخلاوى فى هذه المنطقة وقد جاءت من أرض المحس، وإستقرت فترة من الزمن فى ارض الشايقية ثم نزحت فى وقت لاحق لهذه المنطقة.

والصورة كما تعكسها المخطوطة ان هذه الأسرة الدينية بعد أن استقر افرادها لفترة مافى ارض المحس والشايقية نزح بعض افرادها إلى هذه المنطقة للزراعة ووجدوا محاربة من "العنج" ثم فى فترة لاحقة استطاعوا أن ينشئوا لهم خلاوى فى المنطقة ويرجح ان يكون ذلك قد تم فى أواخر القرن السابع عشر وأوائل القرن الثامن عشر.(١١٥)

ومن ناحية أخرى تلفت النظر حداثة المؤسسات الدينية الإسلامية فى المنطقة ونجد أن أول مؤسسيها عاشوا فى أواخر القرن السابع عشر وأوائل القرن الثامن عشر(١١٦). والظاهرة الثانية الجديرة بالملاحظة أن أغلب الكنائس المسيحية فى هذه المنطقة احتفظت بقدسيتها الدينية بشكل أو بآخر فبعضها تحول إلى مساجد إسلامية مثل كنيسة أرتل (الآن جامع البوشاب)، وكنيسة الكرو التى صارت مسجد "ودصالح" وتحول باقى الكنائس واطلالها إلى مزارات يؤمها الناس بحسبانها تحوى بيانات لأولياء مسلمين(١١٧).

خـــــــــاتمة

حاولنا فى هذه الدراسة تحديد موقع الأبواب الجغرافى فى الفترة المسيحية. وبالاستناد إلى إشارات المصادر العربية، والبينات الأثرية والدلائل اللغوية توصلنا إلى ترجيح أن الأبواب تقع فى المنطقة بين الشلالين الرابع والخامس.

وتعرضنا أيضاً لتطور الهوية السياسية للأبواب، وخاصة فى فترة متأخرة جداً من عمر الممالك المسيحية. فبعد أن كانت موضعاً فى زمن اليعقوبى (ت ٨٩٧م) ثم ولاية تابعة لعلوه فى زمن ابن سليم (ت ٩٩٦م) تطورت هذه الولاية إلى مملكة لها ذاتية شبه مستقلة فى أواخر العهد المسيحى.

وعللنا هذا التطور فى هوية الأبواب، وظهورها بشخصية نشطة ومؤثرة كما توضح ذلك المصادر العربية، لأسباب متعددة. فالأبواب بطبيعتها الأمنية وحمايتها الطبيعية برزت كملجأ لأعداد كبيرة من اللاجئين المسيحيين من منطقة دنقلا فى تلك الفترة المضطربة التى أحدثها الغزو المتكرر للمماليك.

ونتيجة للتفكك والفوضى التى أصابت مملكة دنقلا حلت مملكة الأبواب محل مملكة دنقلا فى التجارة الخارجية، وصارت هى الوسيط لهذه التجارة وبموقع الأبواب المتميز هيمنت على الطرق التى تمر بها هذه التجارة كمصب ومورد لطريق ابوحمد كورسكو وابوحمد سواكن. وبالإضافة لذلك استفاد ملك الأبواب من التعدين فى مناجم الذهب المتاخمة للمنطقة.

ولهذه العوامل مجتمعة يبدو أن مملكة الأبواب شهدت حالة من الازدهار فى أواخر الفترة المسيحية وعلى حساب مملكة دنقلا. وقد يفسر لنا ذلك كثرة الإشارات إلى نشاط مملكة الأبواب وملك الأبواب فى المصادر العربية فى تلك الفترة. وتفسر لنا أيضاً ذلك الازدهار العمرانى من بناء قلاع وكنائس ومبان أخرى فى أواخر الفترة المسيحية فى هذه الرقعة الضيقة الأمر الذى لا تتيحه إمكانياتها الذاتية.

ومن ناحية أخرى نجد دلائل تشير إلى أن مملكة الأبواب إستمرت لفترة مابعد إسلام دنقلا وحافظت على مسيحيتها حتى ظهور عنصر جديد عرف فى التراث المحلى باسم العنج وهذا ماسوف نتعرض له فى الدراسة التالية.

(٢)

زمن العنج

تمهـــيد

تحاول هذه الدراسة البحث فى مسألة العنج الذين يرد ذكرهم بصورة متكررة فى التراث الشفاهى والمخطوطات الوطنية التى تؤرخ لنهاية مملكة علوة وظهور الفونج. والاشارات للعنج تضعهم فى الفترة المسيحية المتأخرة بعد سقوط دنقلا واسلامها فى النصف الأول من القرن الرابع عشر الميلادى، وقبل ظهور دولة الفونج فى أوائل القرن السادس عشر، ولم تحظ هذه الفترة بالاهتمام من قبل دارسى الفترة المسيحية - الذين يتوقفون عند إسلام دنقلا - ودارسى دولة الفونج. الذين يركزون في دراساتهم على بداية عهد الفونج فى القرن السادس عشر، وبذلك نجد أن هذه الفترة والتى امتدت قرابة القرنين لم تجد حظا يذكر من الدراسة وعممت عليها الحقائق التى توصل اليها فى دراسة منطقة المقرة أو اسقاط فرضيات فترة الفونج عليها.

والمصادر التى أوردت اشارات "للانج" أو للعنج تتلخص فى ثلاثة مصادر مختلفة، اولها ما ورد عند المؤرخين العرب فى العصور الوسطى، والذين اشاروا إلى "الانج" كعنصر سكانى محصور المكان وفى جهة غير محددة. والمصدر الثانى هو المخطوطات الوطنية التي ورد فيها ذكر للعنج عند اشارتها لبداية فترة العبدلاب والفونج. والمصدر الثالث الذى يورد اشارات للعنج، هو التراث الشفاهى للمجموعات السكانية فى وسط السودان. وبالرغم من تنوع هذه المصادر إلا أن أمر "الانج" أو "العنج" لم يحظ إلا بالقدر الضئيل من الاهتمام من قبل المؤرخين ولم تتعدى الاشارة اليهم سوى فقرات عابرة وغير مفصلة. وقد لخص (محمد عوض محمد ١٩٥١م) "أن العنج من الأسماء القليلة فى تاريخ السودان التى لا نكاد نعرف لها مسمى، وأنما وصل الينا هذا الاسم نتيجة لسؤال السكان، وهم عادة من من العرب، عن ما كان قبلهم فى البلاد وممن ورثوا الحكم فيها، فيكون ردهم بأنهم قد استولوا على البلاد من "العنج" ويضيف "والظاهر أن لفظ العنج ليس كلمة معناها السكان الاصليون، بل كلمة تدل فعلا على جماعة أو شعب". ويقرر محمد "أن هذا

التواتر من جهات متعددة يحمل على الظن، بل على اليقين، أن أمر العنج ليس حديث خرافة أو اسطورة، وحتى لفظا مقتبسا من لغة من اللغات بمعنى السكان الأصليين بل لابد أنه كان يطلق على شعب قديم خضع بالتدريج للنفوذ المفروض بواسطة المهاجرين المتأخرين نسبيا"[١] وقد اقتبسنا هذه العبارة الطويلة من (محمد) لأنها تكاد أن تكون المحاولة الوحيدة للتنبيه على أن هذا التواتر لأمر العنج لابد أن يكون له مبرر وأن لفظ "العنج" تدل فعلا على جماعة أو شعب وأن أمرهم ليس حديث خرافة أو اسطورة.

ولم يجد العنج من (آركل) سوى الاشارة لهم فى جبل الحرازة وحاول كعادته أن يجد تخريجا للاسم فى لغة الطوارق واكتفى "بان مسألة العنج يجب أن تكون موضع بحث أشمل"[٢] ويرى دى فيار أن الأنج شعب قديم واسع الانتشار، وبعد سقوط سوبا عاصمة دولة علوة المسيحية أول القرن السادس عشر الميلادى أطلق على الأنج اسم القدماء . . أى السابقين للفونج".[٣]

ويرى ماكمايكل "أن السكان القدماء لسوبا، وجزيرة مروى، وجبال شمال كردفان، مازال يقال عنهم بأنهم "عنج"، والمصطلح يستعمل فى المخطوطات الوطنية كمرادف – بصورة عملية –للنوبة، وبالرغم من أنه كان يطلق فى الأصل على فرع محدد من النوبة الذين أصبحوا شبه مستقلين".[٤] ويكتفى مكى شبيكة بالقول "أما العنج فهو لفظ يطلقه السكان فى السودان على المجتمع الذى كان قائما من قبل تأسيس دولة الفونج على حوض النيل وكردفان، وورد فى مخطوطة قلاوون "الانج". ولم يهتد باحث إلى أصل اللفظ إلى الآن".[٥] ويشير نعوم شقير إلى "أنه يؤخذ فى التواريخ التقليدية" "أنه قامت فى شرقى النيل الأزرق مملكة عرفت بمملكة "العنج" وبقيت على النصرانية نحو ألف سنة"، ويورد "أن عمارة دونقس وعبدالله جماع حاربا النوبة ثم نزعا الملك من ايدى العنج".[٦]

ويوسف فضل الذى قام بدراسات واسعة عن دخول العرب فى السودان وقيام الممالك الإسلامية، يشير إلى " أن المسميان، نوبا وعنج، يستعملان كمترادفان فى المخطوطات السودانية، إلا أن لفظ "عنج" يشير بوضوح إلى سكان علوة "ويقول أيضا أن "منطقة الانج او العنج، وهم من سكان الجزيرة"، والعنج اسم احدى القبائل التى كانت تسكن مملكة علوة، والتى اطلقها العرب على كافة سكان تلك المملكة، بينما اطلقت كلمة الانج (أى العنج) وهذا رسمها فى المصادر العربية "كنخبة الدهر" على احدى القبائل التى تسكن الجزيرة فى عهد مملكة علوة. وعم

انتشار هذا اللفظ حتى صار عاما على كل الشعوب التى كانت تسكن السودان وخلفت آثارا هامة. ومع هذا كله فان المرء ليجد فصلا دقيقا بين اللفظين فى الروايات الشعبية، إذ يطلق لفظ النوبة على عامة السكان، بينما تطلق كلمة العنج على سكان مملكة علوة عامة، وملوك سوبا خاصة، وهو ما تؤكده المخطوطات (الوطنية)".[٧]

وبالاضافة إلى ما أورده المؤرخون من اشارات إلى العنج، وبالرغم من انها لم توضح كثيرا عن امرهم، نجد أن المشتغلين بعلم الآثار، الذين اهتموا بالآثار المسيحية للمقرة وعلوة، لم يضعوا أى أهمية للاشارات الواردة عن العنج فى المصادر الأخرى، ويخلو سفر مثل كتاب "أدمز" الشامل للدراسات الاثرية فى منطقتى المقرة وعلوة، من أى اشارة للعنج،[٨] ونجد كروفورد الذى قام بالمسح الاثرى، فى منطقة النيل الاوسط، ولاثار الفترة المسيحية بالتحديد، عندما تصادفه كلمة "العنج؛ يحاول تخريجها لتعطى معنى آخر.[٩] وكذلك شينى الذى قام بحفريات فى سوبا.[١٠] والشاهد أن دارسى الاثار لم يلتفتوا إلى الروايات الوطنية والشفاهية عن العنج، ولم يحاولوا الاستفادة منها وتضمينها فى تقارير نشاطهم الآثارى.

والرواد الذين اهتموا بفترة الفونج، كدليل على الاثر الذى احدثته الهجرات العربية، اهتم جلهم بتأثير العرب الذى قادهم إلى استعمال المعلومات المتاحة لتأكيد فرضياتهم.

وبالرغم من أن فترة العنج تقع فى صميم مملكة علوة لكنها عوملت باسقاط ماتم فى مملكة المقرة عليها. وبالتالى أصبح تاريخها ظلا لما حدث فى القرن الرابع عشر فى المقرة ولم تعامل ككيان منفصل. واوضح ما فى ذلك الاسقاط ماورد عند كاتب الشونة عن بداية سوبا نقلا عن ابن سليم والذى ادى إلى خلط كثير.[١١]

ويلخص (على عثمان) محدودية الدراسات المبكرة عن العصر الوسيط للنوبة "وقصورها وعدم وجود المصطلحات الواضحة عن النوبة فى ذلك العصر، واستعمالها لمنهج آحادى للدراسة بدلا من منهج متداخل، والركون للاراء التبسيطية المخلة للحقائق البيئية والاقتصادية والاجتماعية للبلاد فى تلك الفترة، وبالاضافة للتركيز على فهم محدود للتاريخ والاثار والإهمال شبه التام للتاريخ الحضارى". ويخلص الى" أنه من الضرورى لدارسى التاريخ الحضارى لعصر النوبة الوسيط، التنبه إلى استحالة كتابة تاريخ بالاعتماد على طرق بحث وفرضيات منهج علمى واحد. وأن انواع المصادر التى يجب أخذها فى الاعتبار لدراسة تاريخية شاملة

يجب أن تكون متعددة المناهج، تشمل من المعطيات الاثرية الى المصادر التاريخية، سواء كانت معاصرة أو روايات شفاهية وطنية، أو اثنغرافية أو لغوية أو دراسة فلكورية، "يجب أن تؤخذ كلها فى الاعتبار".(١٢)

ونبه نفرٌ من الدارسين إلى قصور فرضيات المدرسة التقليدية التى سادت مجال تاريخ السودان فى العصر الوسيط التى ركزت على مفاهيم مثل "الأسلمة" "التعريب" "التمازج" "والتهجين".(١٣) والتى هيمنت لمدة طويلة على الدراسات التاريخية السودانية والتى كان من نتائجها الرؤية الاحادية للتاريخ التى وصلت لحد الاتفاق كما اشار يوسف فضل "كان المتفق عليه حتى وقت قريب أن سقوط سوبا قد تم نتيجة اتفاق ثنائى بين العرب والفونج أو بين عبدالله جماع وعمارة دونقس"،(١٤) ولكن حتى رواد هذا المدرسة التى بنت كل فرضياتها على اثر العرب على التحولات التاريخية فى السودان، يعودون للتشكيك فى بعض مسلماتهم، ولكنهم مازالوا فى إطار الفرضية الأساسية والتى تعزى كل التحولات فى هذه الفترة إلى دخول قبائل عربية للسودان.(١٥)

ويرى (عبدالله على ابراهيم) "أن المؤرخين السودانيين تعاملوا باهمال مع الموروث الشفاهى ولم يتم استخدامه بصورة جدية ولا استغلال امكانياته الواسعة، وبالرغم أن التاريخ الشفاهى اصبحت له مناهجه وانه مصدر غنى للمعرفة عن تاريخ الشعوب ويجب لذلك الاستعانة به للكتابة العميقة للتاريخ".(١٦) وبالاضافة لهذه الاسهامات من الافراد قامت دعوات كثيرة لاعادة كتابة التاريخ وخصصت مؤتمرات عن كتابة التاريخ والفوللكور والتاريخ الشفاهى.(١٧)

والاهم من ذلك فان المجهودات التى بذلت فى الثلاثين عاما الماضية، خاصة من قبل وحدة ابحاث السودان فى جمع الفوللكور والروايات الشفاهية للعديد من المجتمعات والكيانات والمؤسسات السودانية الذى نتج عنه سلسلة دراسات فى التراث السودانى. (١٨) ومما لاشك فيه أن المجال في الاستفادة من الروايات الشفاهية قد وجد كثيرا من الضبط والبحث منذ عهد فانسينا.(١٩) وقد حظى بالكثير من الجهد فى المؤتمرات التى اقامتها وحدة ابحاث السودان وشعبة الفوللكور فى مؤتمرين هامين.(٢٠) اضافت الكثير إلى معلوماتنا التاريخية وكذلك أدت إلى قدر من الانعتاق من النظرة التقليدية الضيقة، والاعتراف والاستعمال لمصادر أكثر اتساعا وتنوعا كمصادر اساسية أو مساعدة لكشف الاسرار التاريخية للمجتمعات التى استعلمت طرقا ووسائل أخرى لنقل المعرفة التاريخية غير الكتابة والوثيقة

المخطوطة.[٢١] هذا بالاضافة إلى المجهودات التى قامت بها دار الوثائق والمهتمين فى جمع الوثائق والدراسات.

وفى هذه الدراسة الحالية عن "العنج" سناخذ باستعمال المصادر المتنوعة فى محاولة لاتباع منهج متداخل يحاول الاستفاده من كل ماهو متاح من معلومات فى المصادر التقليدية وغير التقليدية على السواء. وسيكون الاعتماد الاساسى على الروايات الشفاهية التى تم جمعها أو التى وردت فى مصادر سجلت فيها كتابة وبوسائل أخرى.

وهذه الدراسة لا تنبنى على فرضية تسعى لاثباتها أو تهدف إلى نقد فرضية سائدة ولكنها تسعى إلى أن تقودنا المعطيات الواردة فى المصادر إلى النتيجة المنطقية لتتبعها. ولا تسعى الدراسة إلى الاجابة على الاسئلة بصورة جازمة، وانما تسعى لاثاره الاسئلة وطرحها للنظر والتأمل.

ويجدر هنا أن ننبه إلى أن هذه الدراسة يشوبها القصور فى أن امكانية الوصول إلى كل المصادر عند الكتابه وهى بطبيعتها غير مجموعة فى مكان واحد يمكن الوصول اليه، ولكن ما استعملناه هنا قد يكون كافيا لتوضيح الفكرة على قصورها وقد تفتح بابا لمزيد من البحث والاستقصاء.

مكـــان العـــــنج

١- العنج فى التراث الشفاهى:

المؤرخـون الذين استـعـرضنا اشـاراتهم ومـا جـمـعـوه من روايات وأخـبـار عن "العنج" وسـجلوهـا لنا بالاضـافـة إلى اشـارات المؤرخين العـرب الذين ذكـروا "الانج" يمكن أن تفيـدنا فى هذه المرحلة من الدراسـة فى تـحـديد الأمـاكن التى ينتـشـر فـيـهـا التراث عن العنج، وكذلك يمكننا الاستعانة بالمخطوطات الوطنية والروايات الشفاهية التى تم جمعها مؤخرا من العديد من الأماكن وسجلت بطريقة أو أخرى ونهدف من هذا إلى رسم خارطة توضح الأماكن التى يسـود فيها هذا التراث ولتـحـديد المنطقة الجغرافية التى ينتشر فيها .(الخارطة رقم ١)

ونبدأ من الشمال حيث يدلنا التراث المجموع من منطقة النوبة على عدم وجود تراث للعنج فى تلك المنطقة[١] ويشير "على عثمان محمد صـالح" أنه خلال حرب بين المحس وقـوم إلى الجنوب يسـمـون "العنج" تم تنصـيـب ملك الناصـر ملكا للمـحس. وفى رواية أخرى، يورد "أنه بعد أن أشتـهر الملك الناصر فى المحس سمع به أيضـا العـنج إلى الجـنوب وأن الملك النـاصــر ســافــر إلى الجنوب لملك العـنج الذى استدعاه".[٢]

ويبدأ التراث عن العنج فى الظهور بكثافة فى منطقة الشـلال الرابع والشـلال الخـامس. وقد حظيت هذه المنطقة باهتمام كبير من الآثاريين وجمعت منها روايات شـعـبـيـة ومـخطوطات ونأخـذ بما دونه جـاكـسـون، الذى تؤيده الروايات الشـفـاهـيـة والمخطوطات،[٣] يشير جاكسون أن السكان فى المنطقة يرجعون بعض من المقابر الاثرية إلى فترة العنج، وذلك فى مناطق قرقريب وفى الضفة الشرقية المقابلة لجزيرة "أس" من منطقة المناصـيـر وكـذلك فـى الكاب وفى أشكر وفى العـار، وفـى أم بيض وضنب الكلب وفى جزائر يونس ومـويلحـة، وفى المنـاطق البـعـيـدة داخل الصـحـراء الغربية فى جورا وأبوسباع، وفى السلتيب والشلال والكرو وفى وادى الكريكان.[٤] ويورد المسح الأثرى الذى قـام به طلاب الآثـار إلى وجـود التـراث فى المنطقـة جنوب الشـلال الخـامس وحـتـى العـبـيـديـة[٥]، وكـذلك هناك اشــارات للعنج فى ارتولى

والباوقة[٦]، وإلى الجنوب من ذلك، قام البمباش ريان فى عام ١٩٠٦م بحفر احدى المقابر التى يقال أنها للعنج فى منطقة أبو حراز المقابلة لبربر[٧] وقد أورد عبدالله الطيب اشارات عن العنج فى الدامر.[٨]

وفى منطقة الجعليين حول شندى تورد المخطوطات والروايات الشفهية روايات عن العنج، ويقال أن بعض اجداد الفروع الرئيسية للجعليين مثل نافع ونفيع امهم عنجاوية"[٩] وكذلك نجد اشارات لوجود تراث فى شندى وما جاورها، ويوجد تراث مكثف عن العنج فى الأودية الداخلية والأبار بالمنطقة الشرقية لمنطقة الجعليين، وفى وادى الكربكان[١٠] وقد رصدت روايات عن العنج فى منطقة الشلال السادس[١١]. وفى غرب المنطقة فى المتمة وماجاورها.[١٢]

وفى منطقة شرق النيل نجد اشارات للعنج عند البطاحين كما أشار ماكمايكل لرواية "عمدة البطاحين" وكذلك يشير تراث البطاحين الذى تم جمعه، إلى "انهم سكنوا المنطقة من عند شندى لغاية أبو دليق فى زمن العنج"، وللشكرية الدور الكبير فهم الذين كتلوا العنج وملكوا البلد (البطانة)[١٣] ويورد ماكمايكل أن الشكرية حدثوه عن معارك غامضة مع العنج سكان جبل قيلى[١٤]".

ويشير عون الشريف قاسم إلى روايات أهل الحلفاية الشفاهية التى تذكر أن الكواهلة من أوائل، من جاءوا للحلفاية من قبائل العرب ولم يجدوا بها سوى بعض العنج[١٥].

وعلى النيل الأزرق تنتشر الروايات عن العنج فى منطقة سوبا وما جاورها وتشير المخطوطات الى صراع الفونج والعبدلاب مع العنج فى هذه المنطقة[١٦]، وجنوب سوبا نجد الروايات فى العيلفون وفى كترانج يورد "عزالدين الأمين" أن تاريخ كترانج المعروف يرجع لدولة النوبة المسيحية، وفى اسمها ما يعقد الصلة بين وجودها التاريخى وبين العنج الذين كانوا يحكمون السودان فى عهد تلك الدولة، فمن الروايات عن أصل اسمها، أنه اسم محرف من قطر "عنج" ويحدد بأنه كان مسكنا من مساكن العنج، ويقولون فى تعليل ثان أن كلمة كتر تعنى جهة ما .. أما رانج فهو اسم لأحد ملوك العنج، ومازال الناس بالقرية يذكرون هذا الاسم ويرددونه عن اسلافهم[١٧]، وعند ألتى فى منطقة النيل الأزرق يورد ماكمايكل "أنه يقال محليا أن الاسم القديم لألتى هى أنتى وأن أنتى وردس هما أخت وأخ من العنج وأن ردس سكن بالضفة الشرقية فى مكان الشبارقة الحالية وأنتى سكنت فى الضفة الغربية[١٨]". وهناك اشارات للعنج فى أربجى التى بناها حجازى بن معين فى زمن العنج كما يشير كاتب الشونة[١٩].

وفى منطقة وسط الجزيرة يشير مكى شبيكة إلى أنه رأى سلسلة الحفائر التى يشير السكان بأنها للعنج فى المرحلة الثالثة من مشروع المناقل قبل أن تخطط للزراعة[٢٠]". وقد تم رصد بعض التراث عن العنج فى منطقة الجموعية شمال النيل الأبيض[٢١]، وفى غرب النيل رصدت ايضا بعض الآثار التى ينسبها السكان إلى العنج فى وادى المقدم[٢٢] . . وكذل وعلى بعد ١٥ يوماً غرب أم درمان، وهى تشمل على مقابر، وقرى مبنية من الحجر، وبعض الجدران[٢٣] وفى روايات الكبابيش والمجموعات المتوطنة فى أم درق وابوحديد يقال أن العنج قبيلة سادت ثم بادت بعد أن حكمت منطقة الكبابيش. وتوجد العديد من الآثار التى تنسب للعنج فى منطقة جبل الحرازة وأبوفاس وأبو سفيان[٢٤]، واشار آركل أن الاسم يسمع بصورة عامة وسط عرب شمال كردفان[٢٥] وأكد ذلك أيضا "محمد عوض محمد" فى دراسته عن الكبابيش[٢٦].

وفى الجزء الشرقى من البطانة نجد أن مسمى العنج يختفى ليحل محله لفظ جديد هو "البلو" والذى يشير إلى نفس فترة العنج فى المنطقة الوسطى، ونجد أن البلو يظهر فى تراث المرغوماب ليحل محل العنج فى تراث القبائل المجاورة لهم (الشكرية والبطاحين)[٢٧] وكلما اتجهنا شرقا وعند القبائل البجاوية عموما نجد أن لفظ البلو يصبح هو البديل للفظ العنج.

٢- الانج فى المصادر العربية:

ترد الاشارة للانج عند المؤرخين العرب فى ثلاثة مصادر، فقد ذكر ابن عبدالظاهر نصا يشير إلى مبعوث من السلطان المملوكى إلى عدد من الحكام من ضمنهم صاحب الأنج . . وفى نص آخر ذكر ابن عبدالظاهر نفسه اشارة إلى حملة مملوكية طاردت أحد الملوك الفارين جنوب دنقلا والذى هرب إلى جهة الأنج. ونجد اشارة أخرى عند الدمشقى أورد فيها لفظ "أنج" كطائفة من طوائف السودان.

وبالرغم من أن هذه الاشارات لم تحدد هوية هؤلاء "الأنج" والجهة التى يعيشون فيها. إلا أن التحليل لهذه الاشارات قد يمكننا من التحديد التقريبى لجهة الأنج وربما هويتهم.

ويمكننا تحليل النص الأول الذى أورده ابن عبدالظاهر والذى يقول "فى هذه السنة (١٢٨٦م) جُهز الأمير علم الدين سنجر المعظمى رسولا الى ملك النوبة أور ملك الأبواب. والى صاحب بارة وإلى صاحب التاكه وإلى صاحب كدروا وإلى صاحب دنفوا وإلى صاحب أرى وإلى صاحب بقال وإلى صاحب الأنج، وإلى

صاحب كرسة"[٢٨].

وهذا النص يضع لنا الأنج فى إطار من الكيانات السياسية المتقاربة قد نصل من تحديدها إلى وضع مكان الأنج بينها، ونبدأ بالتركيز على الأماكن المعروفة لدينا بصفة واضحة. وأولها مملكة الأبواب والتى تم تحديد مركزها من خلال الدراسه السابقة في المنطقة ما بين الشلالين الرابع والخامس[٢٩]. والمنطقة الأخرى التى يمكننا تحديدها بصفة واضحة هى التاكا وهى المنطقة ما بين الحبشة وحتى جبل ألوس حسب ماورد عند النويرى[٣٠] وتبقى الأماكن الأخرى ويمكننا ترجيح جهاتها حسب ماورد فى المصادر الأخرى وهى:

١- بــــارة:

يرى دى فيار أن شعب بارة الذين أشار اليهم ابن سليم الاسوانى، وباريا الذين ورد اسمهم فى نقش الملك عيزانا، هم جميعا أولئك البارة الذين اشتق أسم الاقليم من اسمهم، وأنهم كانوا يقطنون على ضفاف الاتبرا الذى اشتق اسمه منهم[٣١].

٢- كرســـة

وقد تكون هى "كرسى"، الذين وصفهم ابن حوقل بأنهم على أعالى نهر أتمتى (الدندر) ويتصلون بالحبشة على هذا النهر[٣٢].

٣- دنفو - ديفو:

النص غير واضح فى الأصل كما يشير مسعد وقرأه داجو. وإذا أمكن قراءته ديجو - وهى الأقرب - فيمكن أن تكون اشارة للديجيون الذين أشار اليهم ابن سليم عند ذكر نهر اتبرا بقوله "وعليه جنس مولد بين العلوة والبجه يقال لهم الديجيون"[٣٣].

٤- بقال:

وهى غير واضحة فى الأصل وقد تكون بقلا فى أعالى قمة جبل رورا مقر زعامة الحباب الذين اشتهروا فى ذلك الوقت. ويورد اليعقوبى بقليين وذكر أنهم "من البجه ويتاخمون بازين وأيضا يتاخمون مملكة علوة ولهم حد فى بركة" وهو وصف مشابه لمنطقة الحباب[٣٤].

٥- أرى:

وقد تكون أيرى أو جزير الريح وهى من موانىء البحر الاحمر الصغيرة والتى دلت آثارها على أنها فى مكان ميناء باضع القديمة[٣٥]. وقد تكون جارى، التى وصفها اليعقوبى بأن لها ملك خطير وملكه ما بين بلد يقال له باضع، وهو ساحل البحر الأحمر إلى حد بركات من مملكة بقليين[٣٦].

٦- كدروا:

ونرجح أن قراءتها يمكن أن تكون "كرورا" للتشابه بين الحروف "د،و،ر" فى أغلب الخطوط فى الوثائق المخطوطة ومثال كتابتها هنا يوضح سهولة الخلط بين كدروا وكرورا (كرورا، كدورا، كدروا الخ . .) وتنطق حاليا قرورة(Qarora) بين الكاف والقاف كالحرف اللاتينى (Q) وتكتب فى المصادر الانجليزية فى الغالب بال (K) والخرائط المصرية تكتبها "كرورا"[٣٧].

من هذه المحاولة لتحديد الجهات التى أرسل اليها الرسول ابتداءا من المناطق المعروفة تماما لدينا مثل الأبواب والتاكا نجد أن كل هذه الأماكن بخلاف الأبواب – فى منطقة النيل الوسطى – تشكل مراكز هامة فى المنقطة بين أعالى الأنهار، الدندر وعطبرة والقاش وبركة والتى يبدو أنها تقسمت فى ذلك الوقت إلى كيانات سياسية متعددة شكلت فى مجملها وحدة جغرافية واحدة لها أهميتها بالنسبة للرسول الموفد اليها. والقرائن تدل على أن جهة الأنج من ضمن هذه الوحدة الجغرافية. (الخارطة رقم ٢).

ومن جهة أخرى نجد وصفا آخر لجهة الأنج يرد عند ابن عبدالظاهر عندما ذكر حملة مملوكية قامت بمطاردة ملك يسمى "آنى" هرب امامها من جنوب دنقلا إلى جهة الأنج، ويقول النص" ووجدوا على ذلك الماء من خبرهم أن الملك آنى له يومان منذ رحل إلى جهة الأنج . . وعادوا بعد أن قتلوا خلقا كثير، واسروا حريمهم، وأخذوا مالهم. ورجعوا بغنيمة عظيمة ولم يسلم الملك آنى إلا ومعه سبعة أنفار. وما أخر العسكر عن لحاقه إلا شدة العطش، ولأن البلاد التى وصلوا اليها بلاد خراب، مأوى الفيلة والقردة والزرافات والنعام"[٣٨].

وهذا النص يضعنا أمام احتمالين للجهة التى هرب اليها الملك آنى. الاحتمال الأول أن الملك آنى توجه إلى الصحراء الغربية متجها إلى شمال كردفان وهو

الاحتمال الذى أخذ به بعض المؤرخين للتدليل على ارتباط العنج بجبل الحرازة بشمال كردفان(٣٩).

والاحتمال الثانى هو أن الملك "آنى" توجه أولا على النيل جنوبا حتى منطقة الأبواب ثم انحرف عندها إلى الصحراء الشرقية متجها إلى بلاد الأنج، وهو الاحتمال الذى نرجحه فى هذه الدراسة للأسباب التالية:

أولا: يبدو أن الملك آنى تفادى فى طريقه مملكة الأبواب حيث قام ملك الأبواب بمطاردته حسب ما أورده ابن عبدالظاهر بأن "ملك الأبواب" قد ارسل للسلطان يعتذر بأنه ما أخره عن الحضور بنفسه إلا أنه ساق جيشا خلف الملك آنى مطاردا له إلى بلاد الأنج(٤٠).

ومن الناحية الأخرى إستغرقت المطاردة مدة ثلاثة وثلاثون يوما قضاها العسكر المملوكى فى الذهاب والإياب(٤١) أى ١٦,٥ يوما لكل رحلة، وقد سبق أن قدرت المسافة بين ابو حمد ودنقلا ب١٥ يوما(٤٢). وقد افاد ابن عبدالظاهر أن العسكر بعد مفارقته للنيل قد وصل إلى ماء وقد "وجدوا على ذلك الماء من خبرهم أن الملك آنى له يومان منذ رحل إلى جهة الأنج" ومن الاوصاف لهذا الماء الذى هرب اليه الملك آنى نرجح أنه حوض "يتساى"، والذى يوصف بأنه يشبه خزانات مياه فى هذه الصحراء وعلى مسافة قصيرة من النيل(٤٣). وقد ورد أن الحملة وجدت على هذا الماء، خلقا كثيرا أسروا حريمهم وأخذوا مالهم. مما يعنى أن المنطقة كانت مأهولة بالسكان وسط هذه الصحراء ومن ناحية أخرى فان الملك آنى رحل من هذا الماء قبل وصول الحملة المملوكية إلى جهة الأنج ولم تطارده الحملة بعد ذلك "وما أخر العسكر عن لحاقه إلا شدة العطش ولأن البلاد التى وصلوا اليها بلاد خراب، مأوى الفيلة والقردة(٤٤) والخنازير والزرافات والنعام". وهذا الوصف يلفت نظرنا بتكراره عند المؤرخين العرب لوصف الجزء الجنوبى من أرض البجه فقد وصفها ابن سليم الاسوانى بأنها تضم سائر الوحش من السباع والفيلة والنمور والفهود والقردة. ويصفها ابن حوقل بقوله "وبين قلعيب وبركة غياض عادية ذات أشجار وأفنيتها مراتع الأفيلة والسبع والكركدن والنمر والفهد إلى سائر الوحوش سائمة راتعة فى غيلها ومياهها(٤٥)". وقد ذكر النويرى طريق حملة مملوكية وصلت إلى أرض القاش (التاكة، كسلا وألوس) بأنها "كثيرة الأشجار والأفيلة والقرود والنسانيس والوحش الذى يسمى المرعفيب(٤٦)"، وملك الأبواب الذى طارد الملك آنى إلى جهة الأنج أرسل فى هديته للسلطان المملوكى فيلا وزرافة(٤٧)" مما يوحى بأن

هديته جاءت من هذه المنطقة (بلاد الأنج)، ومن الأوصاف الواردة للمكان الذى هرب إليه الملك آنى والحيوانات التى وردت أوصافها مثل (الفيلة، الكركدن، الزرافات، النعام، السباع، القردة، النسانيس والمرعفيب. (وهى كلمة بجاوية تعنى الضبع)، نجد أن هذه الأوصاف تنطبق على منطقة دلتا القاش وما جاورها والتى كانت مرتعا لمثل هذه الحيوانات حتى القرن الماضى، ويورد ضرار صالح ضرار "أن الرحالة الالمانى ويلهلم جنكر "Dr. Wilhelm Junker" من رحالة القرن التاسع عشر سافر من سواكن إلى كسلا التى وجد فيها أحد الالمان ويدعى مستر Schmutzer كانت له زريبة جمع فيها حيوانات كثيرة من أرض الحمران بنهر ستيت، كما إلتقى فيها جماعة أخرى من الاورباوين لهم زرائب ايضا بقرية "التومات" واشهر الحيوانات التى يصطادونها هى الأسود والفيلة والزراف وحمار الوحش والنعام وفرس البحر والنمر ووحيد القرن[٤٨]"، وهى نفس الحيوانات التى نجدها متكررة فى أوصاف المؤرخين العرب لأرض البجه الجنوبية خاصة منطقة القاش.

وأخيرا وردت كلمة أنج عند الدمشقى فى قوله "من طوائف السودان النوبة وهم أصناف على ما حكاه بعض تجار اسوان، أنج وازكرسا والتبان وأندا وكنكا. فانج يسكنون بجزيرة عظيمة من جزائر النيل تسمى أندا، وازكرسا بعيدون عن النيل[٤٩]"، وبالرغم من الغموض الذى يحيط باشارات الدمشقى لكن ذكره لأنج بأنهم يسكنون فى جزيرة من جزائر النيل لا يعنى بالضرورة أن تكون هى الجزيرة بين النيلين الأبيض والأزرق. فقد جاء وصف جزيرة لارض البجه عند ابن سليم فى قوله "ولآخر بلاد البجه وهم فى بطن هذه الجزيرة أعنى جزيرة مصر إلى سيف البحر المالح مما يلى جزائر سواكن وباضع ودهلك" ويقول عن البجه" وكان قديما لهم رئيس يسكن بقرية تعرف بـ(هجر) وهى أقصى جزيرة البجه[٥٠]".

ومن الأوصاف لمكان الأنج فيما أوردناه من نصوص المؤرخين العرب يمكننا ترجيح أن المنطقة التى يمكن أن تنطبق عليها هذه الأوصاف هى منطقة دلتا القاش وماجاورها من أراضى البجه الجنوبية. (الخارطة رقم ٣).

ووردت فى نفس المنطقة الاشارة "للهلنكة" عند النويرى فى ذكره لتجريدة من العسكر المملوكى، إلى العرب ببرية عيذاب ودخوله إلى بلاد هلنكة حيث يقول "ثم فوزوا ودخلوا البرية إلى أرض التاكة . .فانتهوا فى اليوم الثالث من يوم دخولهم المفازة إلى جبل كسلان وهو جبل أقرع ليس فى تلك البرية غيره وجبل ألوس وبين الجبلين واد، وهذا الجبل هو حد بلاد التاكة من الحبشة. . إذ طلع عليهم غبار أمامهم، فندبوا من يكشف الخبر، فعاد الكشافة وأخبروهم أن طائفة من السودان

تسمى هلنكة قد اجتمعوا لقتال العسكر[٥١]" ومن الواضح أن هذا وصف دقيق لمنطقة كسلا وقد تكون هلنكة هى نفسها قبيلة حلنقة الحالية فى منطقة كسلا. وإذا كان الأمر كذلك فان اسم "هلنكة قد يكون ذو صلة باسم الأنج"، وقد تكمن الصلة فى الصفة التى اشتهروا بها، حيث جاء فى تراث البجة أن القسم الجنوبى من الحلنقة الذى استقر فى بلاد الأحباش كانوا دائما يحملون سوطا وبسبب ذلك سماهم الأحباش الانجا(Alanga) والتى تعنى السوط فى اللغة الأمهرية[٥٢]، ومن الملفت للانتباه أن الحلنقة الحاليين احتفظوا للسوط بمكانة عندهم كأهم رموز السلطة فى طقوسهم عند الزواج والختان حيث "يقدمون للصبى عند الختان وبطريقة طقوسية سوطا وسيفا[٥٣]" وكلمة "الانجا" الأمهرية قد تكون هى نفسها كلمة "الأنج" التى وردت بهذا الرسم عند المؤرخين العرب، وقد اشتهر الأنج أو "العنج" أيضا بالسوط المنسوب اليهم "سوط العنج" فالعبدلاب الذين يقال أنهم ورثوا عن العنج شارات السلطة احتفظوا للسوط بمكانة هامة فى طقوسهم عند الختان والزواج ويشير تراثهم "أنه فى اليوم الأربعين حيث زيارة النهر والأولياء لابد من غطاء الرأس وحمل السوط والسيف"(٥٤)، ونجد أن أهمية السوط فى طقوس التنصيب قد انتقلت للأولياء الدينيين فى تنصيبهم وقد ورد فى الطبقات ماحكاه الشيخ بدوى ود أبو دليق (ت١٧٠٧م) عند تنصيبه للولاية "قعدونى فوق كرسيا من ذهب وألبسونى سوارا وجابوا لى سوط عنج[٥٥]".

ومازال سوط العنج من أهم الرموز فى عملية الجرتق فى الختان والزواج فى منطقة النيل الاوسط، عند الجعليين والميرفاب والرباطاب والمناصير. وقد ورد تفصيل طقوس الجرتق عند المناصير والتى من خلالها نرى الأهمية للسوط كرمز من رموز التنصيب والسلطة حيث يجلس العريس أو المختون على سرير خاص تدور عليه النساء ويكون مع العريس وزير، وعادة الجرتق يلبسوا الجعران والسوط والسوار وطوق الذهب والمناصير فى هذه الحالة لا يبتون فى أى أمر حتى يصل الخال "حيث يقوم بانزال المطرق أو سلسلة الذهب على رقبة العريس أو المختون، والعريس يمكث أربعين يوما لا يخرج وإذا خرج لأى غرض يجب عليه أن يحمل معه السيف أو السوط، وفى اليوم السابع يقوم بزيارة لجميع البيوت تسمى مد السوط، ومد السوط، اشارة لسوط العنج الذى يحمله العريس أو المختون فى يده وينقر به جدار البيت ويقول مدينا السوط، حيث تعطى له الهدية المناسبة[٥٦].

ومن هذه الملاحظات نرجح أن الأنج والهلنكة الذين جاء ذكرهم فى المصادر العربية قد يكونان كيانا واحدا فى منطقة القاش وجاء الاسم الذى اشتهروا به الأنج أو الحلنقة من التسمية الحبشية لهم والتى تعنى "أصحاب السوط".

بداية زمن العنج

رجحنا من خلال متابعتنا لما ورد عن الأنج فى اشارات المؤرخين العرب أن المنطقة التى تسمى بلاد الأنج أو جهة الأنج قد تكون هى منطقة دلتا القاش وماجاورها من بلاد البجة الجنوبية. وقد وجدت هذه المنطقة مؤخرا أهتماما آثارياً دل على أنها كانت منطقة استقرار وتنظيم حضارى منذ الألف الخامسة قبل الميلاد. وقد قامت البعثة الآثارية التابعة لمعهد الشرق الجامعى بنابولى منذ ١٩٨٤م بحفريات منظمة فى موقع (محل تجلينوس) بكسلا كجزء من مشروع دلتا القاش الآثرى والذى بدأ فيه العمل منذ عام ١٩٨٠م.

وحصيلة المعلومات التى تم التوصل إليها تشير إلى أن (محل تجلينوس) كان خلال فترة (مجموعة القاش) نقطة إلتقاء هامة ما بين مصر، ومنطقة وادى النيل الأوسط، وشمال أثيوبيا (إريتريا الحاليه)، وجنوب الجزيرة العربية، أدى إلى قيام مجتمع مركب متطور. وقامت كسلا على إرتباط موسع هام من خلال موقعها الإستراتيجى. وقد وجدت فى (محل تجلينوس) آثارا من حضارة كرمة، وأخرى من كهف (شرق الدود) شرق مدينة شندى، كا تم العثور على بعض الأشياء من جبل مويا قرب سنار الحالية، وحضارة المجموعة(ج) ومجموعة (البان جريف) من بلاد النوبة. وعثر أيضا على بعض الفخار المصرى من المملكة الحديثة، بل تعدت علاقاتها السودان. وعثر على بعض الحجارة النادرة التى تتواجد فى أثيوبيا وبعض أنواع الفخار من شمال اليمن، كما أن انواعا من فخار (محل تجلينوس) وجد فى تهامة اليمن.

إن هذه العلاقة الواسعة التى شملت مابين النيليين وحتى شواطىء البحر الأحمر، ومن بلاد النوبة وحتى تهامة اليمن تشير إلى مجتمع متطور مركب، وإلى قيام أنظمة إدارة وتحكم، وإلى نشوء نظام عشائرى أو قبلى تتمتع فيه بعض القطاعات بمزايا الخاصة، كما تشير إليه المقابر ذوات الحجارة وشواهد القبور.(١)

هذا من الجانب الأثرى ومن الناحية الأخرى تدلنا إشارات المؤرخين العرب والمصادر الأخرى إلى تطور حضارى وسياسى لهذه المنطقة يمكن رصده ومتابعته من خلالها. وأول من إشار إلى كيان سياسى محدد لهذه المنطقة هو إبن حوقل (ت٩٥٦م) فى قوله "والنهر المعروف بالدجن (القاش) يأتى من بلد الحبشه فينقطع

فى أعمال دجن ومزارعها وإلى وسط هذا الوادى تفلين قرى أيضا للباديه منهم، ينتجعونها للمراعى حين المطر، ولهم ملك مسلم يتكلم بالعربية من قبل صاحب علوة. "وأهل تفلين" فيهم مسلمون كثيرون على غير ناحية من دينهم يتجرون ويسافرون إلى مكه وغيرها"(٢) وهذه الأشارة من ابن حوقل تدل على قيام كيان سياسى عليه ملك ولكنه تابع لملك علوة.

ومن خلال إشارات المؤرخين العرب للأنج نجد أن هؤلاء الأنج قد اصبح لهم كيان سياسى حوالى (١٢٨٦م) أرسل إليه السلطان المملوكى رسولا من ضمن كيانات سياسيه أخرى فى منطقة البجه الجنوبية وقد أطلق على حاكم المنطقة (صاحب الأنج) وإلتجأ إليها الملك آنى الهارب فى وجه الحمله المملوكية. وأشار ملك الأبواب "أن بلاد الأنج تغلب عليها ملك غير ملكها وأنه متحيل فى أخذهامنه"(٣). وهذا الأمر قد يعنى بداية صراع سياسى فى هذه المنطقة حاول ملك الأبواب الأستفادة منه.

وبعد مدة يسيرة من هذه الأحداث وجه السلطان المملوكى حملة عسكرية إلى هذه المنطقة فى سنة (١٣١٦ -١٣١٧م) ورد خبرها عند النويرى فى قوله "وكان سبب ذلك أن العربان ببرية عيذاب قطعوا الطريق على رسول اليمن الواصل للأبواب السلطانية، وأخذوا ما كان معه من التقادم ومن رافقه من غلمان التجار" وقد وصلت هذه الحمله حتى أرض القاش (التاكا، كسلا، وألوس) حيث واجهتهم مقاومه عنيفة يصفها النويرى "إذ طلع عليهم غبار أمامهم، فندبوا من يكشف الخبر فعاد الكشافة وأخبروهم أن طائفة من السودان تسمى هلنكة قد إجتمعوا لقتال العسكر وهم خلق كثير . . وبأيدى هلنكة الحراب والمزاريق والسيوف ومع بعضهم النبل . . فقاتلهم العسكر . . فقتل من هلنكة أربعمائة وستون نفرا وجرح منهم خلق كثير. ولم يتمكن العسكر من أسرهم، فإنهم كانوا يرون أن القتل أحب إليهم من الأسر"(٤).

وهذه الحمله العسكريه، ومن قبلها الرسول الدبلوماسى لنفس المنطقة، ومطاردة الملك آنى إليها يثير قدرا من التساؤل فى سر هذا الإهتمام من قبل السلطان المملوكى بالأحداث فى هذه المنطقة. وفى كل هذه الأحداث إشارات واضحة للتجارة منها مثلا تخلص بعض المأسورين من غلمان العسكر التركى بإدعائهم بأنهم "تجار أغار علينا هذا العسكر ونهبونا وأخذوا أموالنا وأسرونا فلما قاتلتموهم هربنا منهم" ويقول النويرى "وكان فيهم من يعرف لغة القوم (هلنكة)(٥). مما يثير الإحتمال بأن الرسول الدبلوماسى والحملة كانتا من أجل تأمين الطرق

التجاريه فى هذه المنطقة. والرسول الدبلوماسى الذى أرسل فى هذه المهمة (علم الدين سنجر المعظمى) يثير تساؤلنا إن كان هو نفسه علم الدين سنجر الدمثرى(٦) الذى وجدناه ضمن الحمله العسكريه لأرض الهلنكه.

وهذه الأهمية للمنطقة بالنسبة للسلطان المملوكى قد نجد تفسيرا لها فى ظهور أهمية هذه المنطقة الجنوبية من أرض البجه فى نهاية القرن الثالث عشر وبداية القرن الرابع عشر نتيجة لتغير الظروف فى هذه المنطقة شبه الراكدة بسبب بعدها عن مراكز النشاط الإقتصادى والتجارى الذى كان يتركز حول مواضع تعدين الذهب فى وادى العلاقى وحول عيذاب الميناء الرئيسى فى ذلك الوقت وكلها تقع فى الجزء الشمالى من أرض البجه. ونتيجة لأسباب كثيره من ضمنها إنحسار النشاط التعدينى وتحول طرق الحجاج بدأت ميناء عيذاب تشهد قدرا من التدهور والإضطراب. وفى هذه الفترة تحول الأهتمام إلى الميناء الجنوبى فى سواكن والتى بدأت تظهر فى هذه الفترة كمنافس لعيذاب ثم صارت فى النهاية هى الميناء الرئيسى للحركة التجارية مع السودان وربما لبعض الأجزاء الشمالية من الحبشة.(٧)

ونلاحظ بداية إهتمام المماليك المصريين بميناء سواكن حين أرسلت إليها تجريدة فى عام ١٢٦٥ قامت بإخضاعها(٨). ثم قام السلطان المملوكى بإرسال مبعوثه الذى زار المناطق الجنوبية لأرض البجه فى حوالى عام ١٢٩٠م. وفى وقت لاحق ١٣١٧م أرسل السلطان الحملة العسكريه التى قامت أولا بإخضاع سواكن وفرض الضرائب عليها ثم اتجهت للداخل ووصلت حتى كسلا ونهر عطبرة. والراجح أن الغرض من هذه التحركات هو تأمين الطرق التجاريه الواصلة إلى سواكن. ومن ناحية أخرى يفيدنا ابن بطوطه الذى مر بعيذاب وسواكن فى حوالى عام ١٣٢٥م بقوله "ولما وصلنا إلى عيذاب وجدنا الحدربى سلطان البجه يحارب الأتراك، وقد خرق المراكب وهرب الترك أمامه فتعذر سفرنا"(٩) ومن هذه الأشارات نصل إلى أن المنطقة الجنوبية لأرض البجه أصبحت تشهد نشاطا إقتصاديا وسياسيا قد يكون مرتبطا بتحول النشاط الإقتصادى إلى سواكن ونلاحظ أيضا أن منطقة القاش قد شهدت تنظيما عسكريا عند "هلنكة" التى قاومت بضراوة الحمله المملوكيه التى وصلت إلى أرض القاش فى ١٣١٧م.(١٠)

وإذا كان من الممكن ربط هلنكة "بالحلنقة" فإن تراث البجه يفيدنا بأن نفوذ الحلنقة فى الزمن السابق قد إمتد فى وقت من الأوقات حتى سواكن ومصوع،

وإمتدت حدودهم الغربية على نهر أتبرا. ويقول عنهم أوين "أن الحلنقة لابد أنهم كانوا قبيلة واسعة الإنتشار فى ذلك الوقت، وأنهم قد تم حصرهم فى وقت لاحق فى محيط منطقة كسلا، وأن الظاهرة المفردة فى تراث كل أقسام الهدندوة فى ماضيهم هو أنهم قد هزموا الحلنقة فى المعارك"(١١)

وفى نفس منطقة القاش حل إسم البلو محل الحلنقة فى الفترة من القرن الرابع عشر وحتى القرن السادس عشر وأصبح هو السائد فى التراث والمصادر اللاحقة والملاحظ أن مايرد عن البلو فى الروايات الشفاهيه للبجه يتطابق مع ماورد عن الحلنقة.

ويذكر هؤلاء البلو فى قصص متشابهة بصورة عامة عند قبائل البجه الجنوبية، وتروى الروايات عن البلو فى تاريخ الحباب والحماسين وعند الهدندوه، والكميلاب والأمرار والبنى عامر، وحتى عند المرغماب فى شمال البطانه. وكل هذه القصص تدور حول محور واحد هو أنه كان يسيطر على هذه المناطق فى الزمن السابق عنصر حاكم موحد يطلق عليه اسم البلو - ويقال أنهم سيطروا على المناطق من سواكن إلى مصوع فى الجنوب ثم المناطق غربا حتى دلتا القاش ونهر عطبره(١٢). وأول ذكر للبلو عند الرحاله الأوروبيين الذين زاروا الحبشه جاء عند الفارز(١٥٢٧م) الذى يقول "فى نهاية مملكة باقمدر (شمال الحبشه) يوجد مسلمون يسمون البلو ويجاور هؤلاء البلو فى الشمال شعب يسمى النوبة "ويقول فى فقره أخرى أن البلو بين الحبشه والنوبة"(١٣) وبعد قرن من الفارز يقول بيز "أنه بعد أقليم التقرى تبدأ المملكة الكبيره التى تسمى دجيون ويسكنها مسلمون سود يسمون البلو . . ويصف منطقة الديجون "بأن بها نهر يتسرب تحت الأرض وتقسم مياهه إلى عدة شعب بواسطة المسلمين ولهذا السبب تسمى التاكا أى المياه المتشتتة"(١٤) ومن الواضح بالنسبة لبيز أن ديجون ومملكة البلو هى التاكا، كسلا ودلتا القاش. وقد عاش الاسم "ديجيون" فى المنطقة ويطلق فى الخرائط القديمه على مستوطنه صغيرة تدعى دكين أو مملكة دكين كما جاء فى أحدى الخرط الفرنسيه المؤرخه فى ١٧٧١م التى تضع البلو إلى الشمال من دلتا القاش وهناك خرائط أخرى قديمه تضع البلو فى منطقة دلتا القاش أيضا.(١٥) (الخارطة رقم ٤)

وبالاضافة لهذه الروايات فإن المصادر الأوروبية والحبشية تدل من ناحية أخرى على قيام تنظيم سياسى موسع فى شكل دولة أو شبه دولة تحت اسم البلو فى القرن الرابع عشر قد يكون مركزها في منطقة القاش ومن الراجح أن بداية هذا

التنظيم السياسى الذى شمل كل المنطقة الجنوبية لأرض البجه تحت مسمى البلو، كان مرتبطا بالدور الذى اصبحت تلعبه ميناء سواكن منذ بداية القرن الرابع عشر[١٦] وقد وردت الكثير من الاشارات حول ارتباط البلو بسواكن وهيمنتهم عليها حيث يشير (لودلفز) "أن ملك البلو كان فى السابق سيدا على سواكن . ويحصل حاليا على نصف جباية المراكب من الأتراك"[١٧]. ويورد (لوبو) "أن الحاكم التركى لسواكن يسمى باشا سنار ويفضل العيش فى سواكن بسبب التجارة الواسعة بين مملكة البلو والحبشة"[١٨] ويضيف بأن البلو خاضوا معارك طاحنة مع الاتراك حتى فرضوا عليهم نصيب فى جمارك سواكن. وللك البلو موظفين ومتحصلين لهذا الغرض".[١٩] وهنالك أيضا شاهد يرويه سلجمان نقلا عن مؤلف برتغالى مجهول جاء فيه " أن جزيرة سواكن يسكنها مائة من الترك ويقيم بها الباشا. وهى فى الاصل تابعة لملك قوى محارب تسمى مملكته دولة بلو"[٢٠]

وفى عام ١٥٧٨م اطلق احد الرحالة الإيطاليين على اقليم سواكن اسم "مملكة البلو"[٢١]ونجد كذلك فى الخرائط المعروفة لدينا مثل الخارطة التى وردت عند (الميدا ١٦٢٨م -١٦٤٣م) التى تضع البلو فى محاذاة سواكن[٢٢]" وتشير المدونات الأثيوبية" إلى البلو كسكان للمناطق الشمالية الغربية والغربية من تخوم الحبشة.[٢٣] وبالاضافة إلى ارتباط البلو بسواكن يبدو أنهم فرضوا سيطرتهم أيضا على الطرق التجارية الواصلة إليها عبر المناطق الجنوبية لأرض البجه. ومن داخل السودان. كالطرق من منطقة النيل الأزرق ومن شندى على النيل ومن بربر وحتى الطرق الواصلة من كردفان ودارفور تتجمع فى كسلا لتمر إلى سواكن من خلال (فلك) فى أرض القاش وطرق أخرى تأخذ منحى جنوبى لتمر بطوكر ثم سواكن. كما يبدو أن البلو اصبحوا هم سادة هذه الطرق وحماتها فى ذلك التاريخ.[٢٤]

وقد اشتهر البلو فى المصادر بانهم محاربون ممتازون وقد وصفهم (لوبو) الذى قابلهم فى سواكن "بانهم شجعان ومحاربون أشداء ومشهورون كفرسان وخيالة" "وأن الرجال وجيادهم أكبر حجما من المعتاد"[٢٥] وتشير أغلب المصادر إلى الأرتباط الوثيق بين البلو والخيل حيث يربط (بييز) بين البلو والخيل حيث وردت الكلمه فى المدونات الأثيوبية فى لقب "جان بلاو" والتى ترجمها إلى سيد خيل الملك. واورد عن مدونات سنة (١٦٧٨م) التى جاء فيها خبر عن حصان يسمى "بلاو امبلاى" ويصل من تلك الاشارات إلى أن كلمة "بلاو" ترتبط بالخيل. ويقول (بييز) أيضا عن البلو أنهم يمدون ملك الحبشه بالعديد من الجياد الممتازة"[٢٦] ويقول

(الفارز) أن البلو يدفعون جزيه لملك الحبشه قدرا كبيرا من الخيل"[٢٧] ويشير (بييز) مرة أخرى للخيل عند البلو ويقول "أن خيلهم أحسن من خيل التقرى وأنها تأتى من مملكة دكين". وقد شهد (بييز) مفاوضة بين الامبراطور الحبشى وشاب من أبناء ملوك البلو حول الخيل "واشار إلى أن تلك الخيول التى تأتى من دكين هى أفضل ماتسلمه الامبراطور"[٢٨] ويورد (كروفورد) ارتباط كلمة بلو بالخيل ويرجح أن استعمالها اطلق اولا على تلك القبائل الحدوديه التى اشتهر افرادها كفرسان[٢٩] ومازالت القبائل الى ورثت البلو فى منطقة القاش وماجاورها مثل بنى عامر والحلنقة والكميلاب وبعض فروع الهدندوه تشتهر بإقتناء الخيل واجادة القتال على ظهورها.[٣٠]

وقد اشتهر البلو من ناحية أخرى بنوع الحكم الذى فرضوه على الآخرين، وهو نوع من التنظيم أشبه بالاقطاع تكون فيه السياده لفئة حاكمه تخضع لها غالبيه من السكان بصوره شبه مطلقة. ونلمح هذا النظام فى منطقة البجه من الاشاره المبكره التى وردت عن ابن سليم (ت٩٩٦) بقوله"واسلم كثير من الجنس المسمى بالحدارب اسلاما ضعيفا، وهم شوكة القوم ووجهاؤهم ومنهم جنس آخر يعرف بالزنافج هم أكثر عددا من الحدارب غير انهم تبع لهم وخفراؤهم يحمونهم ويجبونهم المواشى، ولكل رئيس من الحدارب قوم من الزنافج فى حملته فهم كالعبيد يتوارثونهم.[٣١]

ومن الاشارات التى يمكن جمعها عن نظم الحكم التى ورثها (النابتاب) فى فى البنى عامر والأسر الحاكمة عند الحباب والحماسين نصل إلى أن هذا النظام يقتضى وجود فئتين يمثلان طبقتى الحكام والرعايا. ويتم فرض التمايز الاجتماعى بينهما بقواعد سلوك واعراف تحدد حقوق الاحترام لطبقة الساده عبر طقوس منها الاختلاف فى الزى وفى المكانه الاجتماعية والقانونية، والحق فى الحركه وفى حمل السلاح، بينما تحدد هذه الاعراف وقواعد السلوك واجبات طبقة الرعايا وإنماط سلوكهم وتقييد حركتهم. وتتجه هذه الاعراف فى مجلمها بصوره عامه إلى الحط من طبقة الرعايا ورفع مكانة طبقة الحكام والساده.[٣٢] ويتم من خلال هذا النظام تقسيم السكان إلى حصص وبدنات وشرفاف تكون تابعه لسيد من الاسره الحاكمه ويكون له حق التصرف فى هؤلاء الرعايا، ويمكنه أن يوهبهم من ضمن هدايا الزواج وقد ورد فى تراث الحباب أن احد حكام الحباب" وهب بعض القرى برجالها ونسائها ومواشيها ورعاتها للعروس". وتنتقل قطاعات من الرعايا من مالك إلى آخر فى شكل صدقات أو منح أو هدايا أو أقطاعات.[٣٣]

والهدف الاساسى التى تخدمه هذه النظم والقواعد والاعراف هو تمكين طبقة الساده والحكام وتكريس حقها فى الاستيلاء على فائض الإنتاج من الرعايا وتسخيرهم فى نشاطات إنتاجية تهم طبقة الساده والحكام واحتياجاتها فى الاساس.(٣٤)

وبالرغم من الاشارات التي ترجح أن طبقة البلو كانت من عشائر بجاويه وأنه لم يكن هناك أى اختلاف يذكر فى الصفات السلاليه بين طبقة الحكام من البلو وطبقة المحكومين من البجه الا أنه كانت هناك الكثير من الفوارق الاقتصادية والاجتماعية وفى الطقوس والعادات والتقاليد التى ميزت طبقة البلو حتى صارت الكلمة فى التراث البجاوى تعنى السيد أو الحاكم فى استعمالها العام.(٣٥)

وحول اتجاهات البلو الدينية فان الاراء تتضارب، حيث يعتقد (لونجرج) "أنهم عندما ظهروا فى المره الأولى كانوا وثنيين وبعد ذلك بقليل أو فى القرن الرابع عشر على أقل تقدير انتشر الإسلام بينهم فى الشمال، وانتشرت المسيحية بين عدد منهم فى اقصى الجنوب والجنوب الشرقى" وقد ناقش بعض الكتاب "أن البلو كانوا فى الاصل نصارى ثم اعتنقوا الإسلام بالتدريج" والذى دعى إلى ذلك الظن هو وجود اشارات من بعض الروايات القديمه ومعظمها من مصادر حبشيه ولعلها لاتنصرف إلا على الجنوبيين منهم".(٣٦)

وبالرغم من هذه الاراء إلا أن منطقة البجه الجنوبية توصف عموما بعدم الاهتمام الدينى كما جاء عند ابن حوقل (ت٩٥٦م) عن إقليم دجن (القاش) "ولهم ملك مسلم يتكلم العربية من قبل صاحب علوة . وأهل تفلين فيهم مسلمون كثيرون من غير ناحية على دينهم "ويقول ابن سليم" البجه الداخله فى صحراء علوة حالهم كحال الحدارب والداخلة على كفرهم من عبادة الشيطان، وقد بقى من الحدارب من هو على هذا المذهب، ومنهم من يتمسك بذلك مع إسلامه".(٣٧)

ومن هذه الملاحظات عن اتجاهات البلو الدينية والتى تتوافق مع ماوصف عن اتجاهات البجه الدينية والتى تتأرجح بين الوثنيه والمؤثرات المسيحية والإسلامية أو كما يصفهم إبن حوقل بقوله "واسلم أكثر البجه إسلام تكليف وجرت احكامهم على سنن كانت لهم جاهليه إلى بعض احكام يستعملونها إسلامية".(٣٨) والشاهد أن العامل الدينى لم يكن واضحا كأحد العوامل عند البلو ولم يعرف عنهم اهتمامهم بأنشاء مؤسسات دينية فى شكل كنائس أو مساجد على النمط الذى كان سائدا فى ذلك الوقت فى المناطق النيليه(٣٩).

والشاهد فيما تطرقنا له من اشارات عن البلو فى المصادر المختلفة انها كلها تدل على أن القرن الرابع عشر قد شهد ظهور جماعات ذات قرابة وصفات متشابهة استطاعت الاتحاد وفرض سيطرتها على منطقة واسعة من ارض البجه الجنوبية بما فى ذلك ميناء سواكن ومنطقة شمال إرتريا وحوض بركه والقاش وامتد نفوذهم حتى نهر عطبره وربما اجزاء من البطانة، وقد اطلق على هذه الفئة الحاكمه اسم البلو.[٤٠] وقد استفادت مجموعة البلو بطبقتها الارستقراطية ونظامها الاقطاعى، من سيطرتها على سواكن التى اصبحت الميناء الرئيسى للسودان فى ذلك الوقت، وكذلك من الراجح أن السيطرة التى فرضها البلو على سكان منطقة البجه الجنوبية واخضاع قبائلها لنوع من الحكم يجردها من اسلحتها ويحد من حركتها مما يوفر للبلو استقرار الطرق التجاريه الواصله إلى سواكن وتركز هذه الطرق فى المنطقة التى يحكمها البلو الذين يمثلون حماة هذه الطرق التجارية.

ومن الناحية الأخرى فإن فرض السيطرة على مناطق القاش وبركة واعالى نهر عطبره والتى تمثل مصدرا هاما لسلع التصدير من المنتجات الحيوانية كسن الفيل وريش النعام والجياد والعسل ومنتجات الغابات والصمغ العربى والحبوب الغذائية بالاضافة إلى الرقيق والذهب.[٤١] وطبيعة حكم البلو شبه الاقطاعى للسكان قد حقق لها الاستفاده من فائض الإنتاج من هذه المناطق وتسخير السكان فى ممارسات إنتاجية بهدف توفير بضائع للتصدير يحتكرها الحاكم. وهناك اشارات عن الاحتكار التجارى للبلو وقد وصف ملك البلو بانه "كان ثريا ويملك الكثير من الذهب والفضة وله تجارة واسعة فى الثياب، والتى يشتريها السود باثمان عاليه.[٤٢]

وهذه السيطرة على السكان والثروة من التجارة يبدو أن البلو قد استفادوا منها فى تكوين دولة لها قوة لا يستهان بها من الفرسان المدججين بالدروع والاسلحة، وقد اشتهر البلو بخيلهم ودروعهم بالاضافة إلى أنهم فرسان وخياله ومحاربون أشداء ذاع صيتهم. ويبدو أن دولة البلو قد واجهت فى أواخر أيامها فى القرن السادس عشر ظهور عاملين كان لهما تأثير مباشر عليها أولهما ظهور الاتراك فى الساحل فى هذه الفترة ثم ظهور دولة الفونج فى الجانب الغربى، ومن المحتمل أن التأثير التركى لم يكن قويا وكان محصوراً فى التأثير الاقتصادى بهيمنتهم على ميناء سواكن ومشاركة البلو فى عوائدها. وأما تأثير الفونج من ناحية أخرى فقد كان ابعد مدى ولعله كان من أسباب الضعف التدريجى الذى تسرب إلى طبقة البلو الحاكمه وفى النهاية استطاع الفونج عن طريق "العبدلاب" من هزيمه البلو واخضاع المنطقة التى كانوا يسيطرون عليها. واختفى اسم البلو تماماً مثله فى ذلك

مثل أسم "العنج"، وظهرت مع بداية حكم العبدلاب التكوينات الجديدة لقبائل البجه الجنوبية المعروفة الآن.[٤٣]

العلاقة بين البلو والعنج:

لاحظنا أن مسمى "البلو" الذى يتواتر فى الجزء الغربى من البطانة ثم يسود كلما اتجهنا شرقا فى أرض البجه من نهر عطبره وحتى البحر الأحمر، وكل ماينسب للعنج فى منطقة النيل الأوسط نجده ينسب للبلو فى أرض البجه الجنوبية. وأوضح علاقه بين العنج والبلو تظهر لنا فى تراث العبدلاب الذى يربط بين العنج فى النيل والبلو فى الشرق فى كيان واحد تحت مسمى "العنج".

وتراث العبدلاب يفيدنا اولا بمحاربتهم للعنج فى منطقة النيل وهزيمتهم وطردهم من المنطقة فى عهد عبدالله جماع الذى خضعت له "جميع البلاد الا منطقة العنج فى جهات البحر الأحمر"[٤٤] التى قام بفتحها إبنه الشيخ عجيب بعد ذلك "حين"علم أن شيخ عربان العنج الذى هو خارج عن طاعته مخالف للشرع المحمدى يسفك الدماء ويأخذ الاموال بدون وجه حق شرعى . ." وخاطبه الشيخ عجيب فى ذلك" فلما وصل ذلك الخطاب إلى شيخ عربان العنج غضب وجمع جيوشه وتقدم لمحاربة الشيخ عجيب. .ثم قتل شيخ عربان العنج وانهزم مابقى من جيشه فاقتفت آثارهم فرسان الشيخ عجيب فأنقسموا طائفتين طائفة إلى كرسك والأخرى إلى مصوع . .ولما فتح (الشيخ عجيب) تلك البلاد ولى عليها نابت جد النابتاب حاكما. وجعل حده سواكن ومصوع وكرسك من جهة البحر الأحمر".[٤٥] ويحدد تراث العبدلاب الشفاهى أن هذه المعارك قد حدثت فى منطقة التاكا وكسلا وحفرت[٤٦] وفى تراث المنطقة النيليه الوسطى أن العنج عنصر طارئ قادم من خارج المنطقة. وتشير اغلب الروايات إلى كونهم من البدو وانهم عنصر مختلف من السكان النوبة[٤٧]

وقد أشار لذلك كاتب الشونه بقوله "أن العنج كانوا قد تغلبوا على النوبة"[٤٨] فى فترة سابقه للفونج وتشير اغلب الروايات الى أنهم قد تم طردهم "إلى الفيافى الواسعة والقفار أو من حيث جاءوا" والتى يحددها تراث العبدلاب، بمنطقة البحرالاحمر، وكسلا والتاكا وحفرت والتى دارت فيها آخر المعارك بين العبدلاب والعنج (البلو)".

وتراث البجه يذكر البلو فى قصص متشابهه تروى فى تاريخ الحباب، وعند الهدندوه والكميلاب والأمرأر والبنى عامر. وكل هذه القصص تدور حول محور واحد هو أنه كان يحكم المنطقة فى الزمن السابق عنصر يسمى البلو، وهذا العنصر

تم القضاء عليه على يد العبدلاب ونتيجة لذلك ظهرت رئاسات جديده، لهذه القبائل لها علاقة بالعبدلاب[٤٩] والروايه التى ترد فى تراث البنى عامر عن نهاية البلو ونشوء (النابتاب) كما جاءت على لسان الناظر ادريس صالح فى يناير (١٩٣٢م) "أن على ابو القاسم غادر النيل وجاء إلى جبال البلو شرق نهر بركه . .وعندما سئل عن اصله بواسطة ادريس ادارا ملك البلو اجاب بانه من النابتاب. وتزوج على ابوالقاسم ابنة ملك البلو. ولكن هذا الزواج أثار حفيظة القبيله وقام الملك بقتل على ابوالقاسم تحت ضغط القبيله . .وكانت ثمرة هذا الزواج هو عامر . . . وعندما شب عامر وكبر أُخبر بمقتل والده. فذهب إلى أهل والده فى المتمه واستنجد بهم" ولذلك قرروا الانتقام لمقتل والده وكونوا جيشا من الجعليين والفونج قاده عامر وتمت هزيمة ملك البلو وقتله فى اسراما درهيب وحكم عامر فى محله.[٥٠]

ومن الواضح أن رواية العبدلاب عن نهاية العنج وروايه البنى عامر عن نهاية البلو متشابهتان إلى الحد البعيد، إلا أن لفظ العنج فى رواية العبدلاب حل محل مسمى البلو فى رواية البنى عامر. وتتفق الروايتان على النتيجةوهى ظهور أسرة حاكمة جديدة هى (النابتاب). وهذا يرجح لنا أن مسمى البلو فى روايات البجه يقابله مسمى العنج فى روايات العبدلاب وسكان منطقة النيل الاوسط عامة.

وقد رجح بعض المؤرخين أن الالفاظ "أنج وحلنقه وعنج" هى مسميات خارجية وأن لفظ البلو هو لفظ محلى عرفوا به فى تراث البجه[٥١] ويقول (كروفورد) فى تقييمه بان البرتغاليين والاحباش يخلطون بين "مملكة البلو" وبين "مملكة الفونج" ويتساءل كيف أن اسم قبيلة رعاة كانت تسكن فى الشمال فى منطقة البنى عامر الحالية حيث البلو الاصليين أصبح يضفى على مملكة واسعة وقوية مثل مملكة سنار وفى إعتقاده أن ذلك يوحى بأن قبيلة البلو هذه - قد تكون لعبت دورا هاما فى تكوين هذه المملكة (سنار).

والمصادر الحبشية - التى كان له اطلاع على الاحوال فى سنار - وبالرغم من ذلك ظلت تطلق اسم مملكة البلو على مملكة سنار حتى وقت متأخر، وجارى ذلك الكتاب البرتغاليون الذين ظلوا يطلقون اسم البلو على ملوك النيل ومملكة سنار ومن المحتمل أن المصادر الحبشيه لم تكن تخلط ولكنها تقرر حقيقة أن البلو فى قمة انتشارهم وتوسعهم فرضوا سيطرتهم على الجزء الشمالى من مملكة علوة تحت مسمى العنج وظل الاسم (البلو) فى المدونات الأثيوبية يطلق على مملكة الفونج لفترة طويله بعد ذلك وجاراهم فى ذلك الرحالة البرتغاليون الذين نظروا للمنطقة من منظور حبشى.

الخـــــــلاصة:

فى هذه المرحلة من الدراسة حاولنا تحديد المنطقة التى عرف فيها تراث عن "العنج" إما كفترة حكم أو كعنصر سكانى، وقد لاحظنا أن هذه المنطقة يمكن حصرها فى الجزء الشمالى مما كان يعرف بمملكة علوة. ثم تتبعنا ماورد عند المؤرخين العرب عن الأنج ورجحنا أن منطقتهم التى وردت فى المصادر العربية قد تكون هى منطقة القاش، وكذلك ماورد عن الهلنكة فى نفس المنطقة حول "كسلا" مما يرجح أن هناك إرتباطا بين المسميين الانج والحلنقة.

وقد تتبعنا بصوره أكثر تفصيلا ماورد عن البلو الذين حلوا فى تراث البجا محل هذه المسميات وتتبعنا ازدهار هذه المنطقة تحت حكمهم والذى وردت نهاية عهدهم فى تراث البجه على يد العبدلاب. وأن تراث العبدلاب يضع مسمى العنج فى محل البلو وأن العلاقة بين العبدلاب والعنج سواء بالحرب أو الزواج قد انتجت فترة جديدة فى تلك المنطقة هى الكيانات الحديثة للبجه ومنها النابتاب فى البنى عامر.

ومن المحتمل أن كل هذه التسميات كانت تدل على جماعة واحدة سيطرت على منطقة القاش وماجاورها وكان لها شأن كبير ظهر فى تنظيم حاكم فرض سيطرته على كل المنطقة فى شكل دولة ازدهرت بين القرنين الرابع عشر والسادس عشر. ورجحنا أن الصلة بين هذه التسميات قد تكمن فى اقتنائها للخيل واستعمالها للسوط كأحد رموز سلطتها وطقوسها حتى اشتهرت به واصبح الأسم المعروف لها.(٥٢)

ومهما كان الأمر فإن هذه الجماعه الحاكمه التى رصدناها تحت هذه المسميات أصبح لها شأن كبير فى تاريخ السودان حيث إمتدت سيطرتها على الجزء الشمالى(الابواب) من مملكة علوة الذى عرفت فيه باسم العنج وهذا ماسيكون عليه مدار البحث فى فيما يلى من هذه الدراسة.

العنج ومملكة الابواب

ظهرت فى اواخر العهد المسيحى (القرنين الثالث عشر والرابع عشر) مملكة باسم الابواب وقد كانت فى بداية امرها ولاية تابعة لعلوة عليها وال من قبل صاحب علوة، ويعتقد أن هذه الولاية كان مركزها فى المنطقة بين الشلالين الرابع والخامس، وانها كانت تمثل بالنسبة لعلوة ماكان يمثله الجزء الشمالى من مملكة المقرة وحاكمها صاحب الجبل، ومن الراجح أن مملكة الابواب فى أواخر ايام مملكة علوة اصبحت لها ذاتيتها المستقلة نتيجة للتفكك والفوضى التى اصابت مملكة المقرة فى دنقلا وضعف مملكة علوة وحلت مملكة الابواب محلها، فى السيطرة على التجارة الخارجية لسودان ذلك العهد وهيمنت على الطرق التجارية الرئيسية التى تحولت إلى الجنوب حيث نشأت طرق صحراوية مثل ابوحمد كرسكو متجاوزة لانحناءة النيل وتحولت الطرق إلى الجنوب لتصب فى ميناء سواكن بدلا عن عيذاب. ويبدو أن هذه المملكة قد تمددت أيضا على حساب علوة نفسها حيث أصبح ملك الابواب يوصف بان له اقليم متسع. واصبحت له استقلالية فى العلاقات الخارجية وخاصة مع المماليك فى مصر. وقد هيمن ملك الابواب ايضا على معادن الذهب فى الصحراء الشرقية، وكان ايضا من اهم اسباب ازدهار المملكة الكثافة السكانية العالية التى حدثت نتيجة لازدياد عدد اللاجئين المسيحيين اليها من دنقلا. مما يدل على ذلك اثار المنطقة والتى تشير إلى ازدهار واضح للمملكة فى اواخر العهد المسيحى.[١]

وتظهر لنا أول علاقة بين مملكة الابواب "والانج" فى سنة ١٢٩٦م حيث اعتذر ملك الابواب عن الحضور لمقابلة مندوب السلطان المملوكى (لانه ساق جيشا خلف الملك انى) الذى هرب إلى جهة "الانج" ويفيد ملك الابواب فى رسالته بأن جهة "الأنج" تغلب عليها ملك غير ملكها وانه "متحيل فى اخذها منه"[٢] ويدلنا هذا النشاط لملك الابواب على اهتمامه بمنطقة الأنج وبالاحداث الداخلية فيها بل يحاول التدخل فى شئونها الداخلية باخذها من ملكها وفرض سيطرته عليها. ومن المحتمل أن هذا الملك الذى تغلب على جهة الانج هو أول ظهور لما اصبح يعرف بعد ذلك (بدولة البلو) والتى أصبحت تنافس مملكة الابواب فى الهيمنة على ميناء سواكن والطرق التجارية الواصلة اليها ومن بينها الطريق من منطقة الابواب عبر اراضى البجه. وكذلك

سيطرة هذه الدولة على مناطق تعدين الذهب الواقعة فى اراضى البجه مما يشكل تهديدا لاهم مصادر ازدهار مملكة الابواب.

وبظهور الانج (البلو) وتكوين دولة لهم فى المنطقة الشرقية وبسيطرتهم على ميناء سواكن وعلى الطرق التجارية المؤدية اليها وتحويل مصبات التجارة وطرقها بعيدا عن هيمنة ملك الابواب فان الصراع بين الأنج ومملكة الابواب يصبح محتما. والذى يبدو انه حسم لصالح الأنج (البلو) حيث نلاحظ أن ملك الابواب الذى كان نشطا ويسوق الجيوش حتى تلك المناطق - يصفه - لنا ابن عبدالظاهر فى حالة ضعف ظاهر فى سنة ١٣١٧م عندما مرت بمملكة الابواب تجريدة من العسكر المملوكى كانت قد حاولت تتبع العربان فى منطقة القاش، وقد تصدت لها طائفة من هلنكه واجبرتها للرجوع عن طريق الابواب. ولم تتعد قوة المماليك خمسمائة فارس وقد كانوا فى حالة مزرية إلا أنهم عندما وصلوا إلى الابواب "توجه سيف الدين ابوبكر والى الليل الرسليه إلى متملك الابواب، فخاف ولم يأت للعسكر وارسل اليهم مائتى رأس بقر واغنام وذرة. ونهب العسكر ما وجدوه بتلك الجهة من الذرة وتوجهوا إلى مدينة دنقلا".[٣] وهنا نجد ملك الابواب الذى كان يرسل الجيوش خلف الملوك الفارين يصل به الضعف إلى الخوف من هذه التجريدة العائدة وانه حتى لا يمكنه الدفاع عن سكان مملكته من نهب العسكر المملوكى لهم. وذلك بعكس الشراسة التى قابل بها الهلنكة فى منطقة القاش نفس الحملة.

ومن ناحية أخرى تدلنا آثار منطقة الابواب خاصة فى المنطقة بين الشلالين الرابع والخامس إلى تحول فى انظمة الدفاع عن هذه المنطقة فى اواخر الفترة المسيحية حيث لجأ سكانها إلى بناء القلاع والتحصينات وهو مما يعتبر من وسائل الدفاع السلبى.[٤] والاعتماد على وسائل الدفاع الطبيعية من جزر وشلالات. وتخلت عن دورها بالدفاع الايجابى من خلال جيشها المتحرك والنشط. ولكن هذه الحصون التى ظهرت فى اواخر الدولة المسيحية تدل أيضا على حالة حصار وحالة هجوم متكرر من عدو قوى ومصمم.

ويلخص هيكوك دور هذه القلاع المنتشرة فى المنطقة بقوله "أن بعض القلاع المشيدة بضخامة ظاهرة والمقامة فى مناطق بعيدة ومهجورة، تحميها الشلالات كتلك التى تقع جنوب العشير وفى كورتا قد تكون شيدت فى هذه الاماكن لحماية المنطقة من الغزو الخارجى".[٥]

ويتساءل خضر آدم عيسى "عن هذا العدد الكبير من القلاع فى المنطقة من

شمال ابو حمد إلى الباوقة فى الجنوب" ويربط خضر هذه القلاع والتحصينات بابراج المراقبة الموجودة فى "اب سدير ودبليبه وندى . . .ويقول "يبدو أنها تنتمى إلى نفس الفترة - وأن هذه الابراج نجدها على المرتفعات أو التلال وفى مواضع استراتيجية، ويبدو أنها محطات للاشارات متصلة بهذه القلاع المبنية من الحجر، وانها لابد تنتمى لنفس الفترة التى بنيت فيها هذه القلاع - وان هذه القلاع والابراج والحصون والمتصلة ببعضها كان وضعها مناسبا إما بالقرب من النيل أو فى منطقة محمية أو بالقرب من التلال او فوقها بالنسبة لابراج المراقبة. وهى لابد أن تكون للمراقبة والحماية من عدو مرتقب".[٦]

وطبيعة هذه القلاع التى ترجع إلى الفترة المتأخرة من العهد المسيحى تثير لدينا ثلاثة افتراضات:-

أولها:- ظهور خطر حقيقى ومتكرر فى الفترة المتأخرة من العهد المسيحى يستهدف مملكة الابواب ويستدعى بناء قلاع بهذا الضخامة فى هذه المنطقة المعزولة والتى لها حماية طبيعية من الجزر والشلالات، وأن بناء هذه القلاع يدل على وجود خطر متوقع بشكل دائم - وليس خطرا عابرا - وأنما خطر اصبح يشكل تهديدا دائما فى الفترة المسيحية المتأخرة مما يستدعى بناء دفاعات ثابتة.

وثانيها:- أن بناء قلاع بهذه الضخامة فى هذه المنطقة يدلنا على أن المجتمع الذى اقام هذه الاستحكامات مجتمع مستقر ومزدهر ومنظم ويحتاج لحماية وقد اشار الاثاريون إلى أن "المنطقة فى الفترة المسيحية كانت اكثر ازدهارا وتتكون من جماعات لها تنظيم جيد. ويمكن استخلاص ذلك من آثار المستوطنات المسكونة، ومن المقابر والكنائس الكثيرة فى المنطقة، وأن القلاع المبنية تدل على تنظيمهم وعلى مخاوفهم وأن هذا العدد الكبير من القلاع التى بنيت تحسبا لهجوم متوقع تدل فى نفسها على أهمية المنطقة فى تلك الفترة وازدهارها.[٧]

وهذا يقودنا إلى أن هذه المنطقة فى تلك الفترة كانت لها امكانيات مادية اكبر من مواردها الذاتية وانها كانت تشكل مجتمعا فى شكل مملكة صغيرة لها القدرة المادية والقدر الكافى من السكان المنظمين يمكن تفريغهم لهذا القدر الكبير من البناء الذى يحتاج إلى ايدى عاملة كثيرة - وقد اشار الاثريون إلى الكثافة السكانية فى هذه المنطقة الناتجة عن لجوء اعداد كبيرة من المسيحين الفارين من دنقلا امام المماليك.[٨]

والفرضية الثالثة:- بأن هذا التهديد بدأ فى الظهور فى شكل غارات متفرقة

فى زمنها، اتاحت الوقت الكافى لبناء هذه القلاع التى لابد انها قد اخذت وقتا حتى احس المجتمع بحاجته اليها ثم الشروع فى بنائها - ويحتفظ لنا الموروث الشعبى بصورة من صور الغارات والتى سميت بفترة "القيمان".[٩] والملاحظة أن هذه القلاع ظهرت فى فترة محددة من اواخر العهد المسيحى ثم هجرت عندما اختفت الحاجة اليها بعد السيطرة النهائية للعنج على المنطقة.

والملاحظة الجديرة بالاهتمام أن هذه القلاع قد تركزت فى الضفة الشرقية للنيل وانها كانت تحرس الاماكن الضعيفة عند الجزر المأهولة بالسكان. ونجد أن هذه القلاع مرتبطة بابراج للمراقبة تطل كلها على الصحراء الشرقية حيث لفتت الظاهرة انتباه الاثاريين. وقد اعتقد هيكوك أن المهاجمين قد يكونون من العبابده.[١٠] ولكن توزع هذه القلاع على الضفة الشرقية من الشلال الخامس جنوبا وحتى الشلال الرابع قد تدل على أن الخطر يأتى من منطقة واسعة من الصحراء الشرقية والتى تمثل منطقة البجه. والصفة التى اطلقت على ابراج المراقبة قد تدلنا على طبيعة المهاجمين، وهذه الابراج الموجودة فى كرنى وفى آب سدير ودبلييه وفى ندى وفى الضفة الشرقية لأمكى اطلق على الواحد منها اسم "برج العنج" وقد تكون التسمية ناتجة من أن هذه الابراج مقامة لمراقبة "العنج" (البلو) المهاجمين من الصحراء الشرقية.[١١]

والملاحظة الثانية، أن هذه القلاع تتركز فى اماكن نلاحظ عليها جميعا انها اماكن ضعيفة فى الجزر، أو انها تتركز بشكل رئيسى على مصبات الاودية الاتية من الشرق مثل وادى الحمار، حيث نجد قلعة العشير، وخور الفقيرة عند قلعة الطرفاية - ووادى امور - ووادى الكويب بالقرب من قلعة الكويب وخير مثال لذلك نجده فى جزيرة إسرى فى منطقة الكربه حيث تم الكشف فيها عن تجمع سكانى كثيف فى الفترة المسيحية"[١٢] وامام هذه الجزيرة فى الشرق توجد قلعتان متقاربتان. وفى الجبل المقابل لهما برج للمراقبة. ويبدو أن السبب الاساسى فى وجود هاتين القلعتين لحراسة جزيرة واحدة هى أن هناك مصبين لواديين هما أب سدير وأب سميرات. مما حتم وجود قلعتين فى هذه المنطقة لحراستها وارتباط هذه القلاع بمصبات الاودية يدلنا بوضوح على أن مصدر الخطر المتوقع يأتى من هذه الاودية والخيران واذا تتتبعنا هذه الاودية نجدها تأتى من عمق ارض البجه مثل وادى آمور ووادى الحمار وخور أب سلم.

ومن ناحية ثانية نجد الظاهرة فى بعض هذه القلاع أن هناك احجار مدببة على

مسافات متقاربة كما فى قلعه العشير وقد اشار كروفورد إلى أن الغرض من هذه الاحجار هو اعاقة الخيل عند الهجوم وتقييد حركتها.[١٣] بما يعنى أن المهاجمين كانوا يأتون على ظهور الخيل - وهذا قد يفسر لنا تفضيل هؤلاء المهاجمين لمتابعة الاودية حيث أن الخيل تحتاج إلى الماء والمرعى والذى يتوفر فى هذه الاودية والخيران فى فترات جريانها إلى النيل - فالخيل الآتية من بعيد تحتاج إلى مرعى ومصادر مياه متوفرة ومتقاربة الأمر الذى لا ينطبق على الجمال ولذلك اصبحت هذه الأودية تمثل طريقا ميسرا وسهلا للوصول لهذه المنطقة من داخل الصحراء الشرقية عن طريق الخيل وحتى مصبات الاودية فى النيل.[١٤] وقد يفسر لنا هذا أن الغارات على المنطقة كانت متفرقة لانها متوقفة على مواسم جريان هذه الاودية.

والملاحظة الثالثة: فى هذه المنطقة واثارها هى خلو الضفة الشرقية من التجمعات السكانية فى الفترة المسيحية المتأخرة وتوضح الاثار "أن اغلب المقابر المسيحية توجد فى الجزر بما يوحى بان الجزر هى الاكثر سكنا فى تلك الفترة - وقد يكون ذلك دالا على أن السكان يشعرون بالامان فقط فى هذه الجزر"[١٥] وقد دل المسح الاثرى على اتجاه السكن فى الفترة المسيحية فى داخل الجزر وفى الضفة الغربية للنيل. والوصف الذى اورده ابن سليم لهذه المنطقة فى فترة متقدمة سنة (٩٩٦م) فهو يقول عن الابواب "أنها قرى فى الشرق عليها وال"[١٦] نجد أن هذا لم يعد منطبقا على الفترة المتأخرة من العهد المسيحى حيث هجرت الضفة الشرقية تماما وتركز السكان فى الضفة الغربية وفى داخل الجزر. ومما يدلنا على خلو الضفة الشرقية أن احفاد الشيخ شرف الدين العبابسه الذين "دخلوا هذه المنطقة فى زمن العنج" واستطاعوا احياء اكثر من خمسمائة ساقية"[١٧] ونلاحظ أن ممتلكات هؤلاء العبابسه اغلبها فى الضفة الشرقية للنيل مما يدل على خلوها من السكان فى تلك الفترة.

ونلاحظ ايضا كدليل لاخلاء الضفة الشرقية للنيل كوسيلة للحماية من هجوم العنج، أن اسماء الاماكن فى الضفة الغربية احتفظت باسمائها النوبية، فنجد الاسماء الباقير، الكدق، كرقس، أمكى، أمن، الكرو ونجد فى كل من هذه الاماكن اثارا للسكن فى العهد المسيحى، وكذلك الغالبية العظمى من الجزر التى كانت مركز السكن فى هذه الفترة قد احتفظت باسمائها النوبيه أيضا، فنجد اسمائها إسرى، سبنس، قنديسى، كرجول، التنسو، كجرات، أرتل، مرى، مرو . . .الخ . . وهى اسماء ثبت انها ذات جذور نوبية . . وتختفى هذه الاسماء النوبية فى الضفة

الشرقية حيث تسود التسميات ذات الاشتقاق من اللغة العربية. وتصبح الاسماء أبو حمد، أبو ديس، أبو هشيم، الشريق، الطرفايه، والاودية والخيران اب سدير، اب سميرات، وادى الحمار، ونتيله النص، وضنب الكلب. . .الخ . . وهذه التسميات قد تدلنا على خلو الضفة الشرقية من سكانها النوبيين فى تلك الفترة التى اصبحت معبرا للعرب، أو مستقرا لبعضهم مثل العبابسة والازيد . . الخ . . وأن هذه المنطقة التى كانت تمثل حاجزا امام الهجرات العربية انفتحت فى فترة العنج. فبعد أن كان يتم (حبسهم فى الابواب) اصبحت مكانا للعبور والاستقرار كما يدل على ذلك غلبة الاسماء العربية على اسماء الاماكن والوديان فيها.[١٨]

وهذا الهجوم المتكرر من مناطق البجه على منطقة الأبواب يبدو أنه استمر لفترة زمنية لا يمكننا تحديدها تم فى نهايتها استيلاء العنج على هذه المنطقة وأصبحوا حكامها. (الخارطة رقم٥)

والمصادر المتاحة لا تدلنا على الزمن الذى سيطر فيه العنج نهائياً على المنطقة، ولكن يمكن أن يكون ذلك قد تم بعد العام ١٣١٧م حيث تمت الاشارة إلى ملك الأبواب فى هذه الفترة وتضمنت الاشارة فترة من الضعف أوضحها لنا ابن عبدالظاهر عند مرور العسكر المملوكى على هذه المنطقة. ومن ناحية أخرى فان ضعف مملكة الأبواب يقابله بداية ازدهار دولة البلو (العنج) فى منطقة البجه حيث واجه نفس العسكر المملوكى شراسة واضحة فى منطقة القاش حين قابلهم رجال "هلنكة؛ واشتبكوا معهم.[١٩]

وكما اوضحنا فى السابق انه فى بداية القرن الرابع عشر استطاعت دولة البلو (الانج) السيطرة على منطقة واسعة من اراضى البجه وعلى ميناء سواكن والطرق المؤدية اليها بالاضافة إلى مناجم الذهب فى هذه الصحراء. ويبدو أنه بدأت تمددها تجاه النيل من خلال الاودية والخيران من أجل السيطرة على المنطقة النيلية فى مملكة الأبواب المنافس الأول لها فى هذا المجال، ومن المحتمل أن ذلك قد تم لها فى فترة ما من منتصف القرن الرابع عشر حيث تأتى الاشارة من المخطوطات الوطنية عند النبر الذى يقول أن جدهم الشيخ شرف الدين وصل إلى طرف بلاد السودان "وحددها بالكاسنجر من بلاد الشوايق" فى هذا الوقت "وكان قدومه فى زمن العنج"، ثم لما مات قدم ابنه عبدالرحمن إلى دار التكاكى (الأبواب) ووجد أنها تحت سيطرة العنج حيث "اعطوا كبار العنج اجرة على استغلال الارض" فلما اعطوهم تلك الأجرة كاد العنج يجعلونها وظيفة (أجرة) عليهم كل عام".

ويشير النبر إلى سيطرة العنج على المنطقة عن طريق قوتهم العسكرية فى قوله "أولاد مسلم بغوا وتعدوا الحدود التى ليس من شأنهم فى العادة الجارية، حتى أنهم قطعوا الطريق شرقا وغربا، واتتهم بسبب ذلك سرية قوم من العنج وقتلتهم كلهم إلا اثنين نجوا بفضل الله".

ويشير النبر أن اجداده العبابسه فى هذه المنطقة كانوا قبل زمنه بثلاثة قرون وقد عاش النبر حوالى (١٧٦٧م) [٢٠] ويكون بذلك زمن اجداده حوالى ١٣٦٧م. ويمكننا بذلك أن نحدد بداية سيطرة العنج على منطقة الأبواب فى فترة ما بين ١٣١٧ - ١٣٦٧ حيث كانت فى التاريخ الأول مازالت مملكة نوبية وفى التاريخ الثانى كان العنج مسيطرين عليها وعلى اراضيها ولهم فيها "سرايا" تحفظ النظام، ونفترض أنه بحلول منتصف القرن الرابع عشر كان العنج قد فرضوا سيطرتهم على مملكة الأبواب وهى نفس الفترة التى شهدت ازدهار مملكة "البلو" الأنج فى الشرق.

وباستيلاء البلو (الأنج) على الابواب والتى كانت تمثل لعلوة ما كان يمثله صاحب الجبل لمملكة المقرة والذى وصف ابن سليم دوره بقوله "ولهذا الناحية وال من قبل عظيم النوبة" لا يطلق لاحد الصعود إلى مولاه . . وهو شديد الضبط لها، حتى أن عظيمهم إذا صار بها وقف به المسلحى واوهم انه يفتش عليه حتى يجد الطريق إلى ولده ووزيره فمن دونهما . . ولا يطلق لا حد أن يجوزها الا باذن الملك ومن خالف كان جزاؤه القتل كائنا من كان"[٢١]. ويبدو أن الابواب كانت تقوم بهذا الدور لعلوة. وباستيلاء العنج على هذه المنطقة الحصينة، انفتح لهم الطريق حيث واصلوا توسعهم جنوبا حتى وصلوا إلى سوبا العاصمة والمناطق النيلية والمجاورة لها شرقا وغربا التى حددناها من خلال التراث المنقول عن انتشار العنج.

العنج ونظام الحكم

البلو أو "العنج" الذين جاءوا إلى المنطقة الوسطى من النيل، كانوا كما أوضحنا يحملون ثقافة مغايرة للثقافة النوبية التى عرفت فى المنطقة النيلية. ويحملون تراثا مختلفا للحكم ومؤسساته يبدو أنهم فرضوه على هذه المنطقة الأمر الذى يمكن أن نستشفه من مقارنة النظام الادارى فى عهد النوبة الذى عرف فى المنطقة وما حدث من تغيير فى المنطقة التى خضعت لسيطرة العنج.

نبدأ أولا بطبيعة التقسيم الادارى الذى كان يسود بلاد النوبة والاشارات التى بين أيدينا تدل على وجود تقسيمات ادارية اقليمية فى مملكتى المقرة وعلوة.

ويصف ابن سليم الاسوانى الأقاليم التى تنقسم اليها مملكة المقرة حيث تبدأ من الشمال بإقليم "الجبل وعليه وال، ثم ناحية سقلوذا وعليها وال ثم ناحية بقون، ثم سفد بقل ثم شنقير"[١] ويشير (على عثمان) أن هذه التقسيمات الادارية تعتمد على تقسيم جغرافى طبيعى لأراضى هذه المملكة[٢].

ويقول مسعد أن حكم الأقاليم فى بلاد النوبة جرى على تعيين ثلاثة عشر حاكما اقليميا[٣] ونلاحظ أن منطقة النوبة السفلى احتفظت بتقسيماتها الاقليمية إلى عهد الفونج حيث تقسمت المنطقة إلى ممالك: الدفار، الخندق، دنقلا، مروى وكجبى. وهى كلها أسماء مناطق[٤]. وهى المنطقة التى لم يحكمها العنج حسب ما أوضحنا. ولا نعرف الكثير عن التقسيم الادارى الداخلى لملكة علوة" غير أنها كانت تنقسم إلى ولاية شمالية عرفت عند المؤرخين العرب "بالابواب" كما جاء عندابن سليم "وأول بلد علوة قرى فى الشرق تعرف بالأبواب، وعليها وال من قبل صاحب علوة وولاية شرقية عرفت باسم الدجن"[٥]، ويمكن أن نستدل من التقسيمات الادارية للمنطقة الجنوبية من سوبا التي لم تتأثر بحكم العنج، التى حكمها الفونج، الذين ورثوا من سوبا الكثير من تنظيماتهم الادارية، حيث نجد أنها احتفظت بتقسيمات اقليمية جغرافية ظهرت فى مشيخات، خشم البحر، أليس، بيلا، اتبرة، القربين، أربجى، نازوغلى وقرى[٦].

واستناداً على هذه الخلفية للتقسيمات الادارية الجغرافية الموروثة من الممالك النوبية والتى لم تعرف حكم العنج واحتفظت بتقسيماتها الادارية الموروثة، يتضح أن

الأمر يختلف فى المنطقة التى شهدت سيطرة العنج التى حددناها بالمنطقة من الشلال الرابع وحتى الشلال السادس فى النيل وشمال النيل الأزرق وبعض أرض الجزيرة والنيل الأبيض وشرقا بالبطانة وغربا بمنطقة الكبابيش. وهى المنطقة التى يسود فيها التراث عن العنج وأول ما نلاحظه هو إختفاء التقسيم الإقليمى الجغرافى، وظهور نمط جديد من التقسيم الادارى الذى يعتمد على التقسيم العشائرى (القبلى) للسكان، فنجد أن التقسيمات أصبحت بداية من الشلال الرابع تسمى بلاد الشايقية، ثم المناصير، الرباطاب، الميرفاب، الجعليين، الجموعية، المسلمية، الشكرية، البطاحين، الكبابيش . . الخ وهو تقسيم يعتمد على السكان مما يوضح بشكل واضح الاختلاف عن النظام النوبى الإقليمى والذى ساد واستمر فى المناطق التى لم تتأثر بحكم العنج كما أوضحنا[٧].

وهدفنا من هذا العرض هو تبيان أن العنج عندما بسطوا سيطرتهم على المنطقة الوسطى من النيل والتى كانت تمثل الولاية الشمالية لعلوة (الابواب)، نجدهم قد أحدثوا نمطا اداريا جديد لم يكن معروفا فى المنطقة النوبية من قبل، وهو نظام معروف فى منطقة البجه التى جاءوا منها ويعتمد على ادارة السكان فى شكل عشائر وبدنات وحصص ولذلك أعادوا تشكيل السكان فى شكل مجموعات قبلية أو عشائرية حتى يمكنهم ادارتها على نمط مورثاتهم الادارية التى تعتمد على موارد السكان وليس على موارد الأرض[٨].

وهذا التقسيم تميز بظاهرة لفتت أنظار الكثيرين وهى انتشار المقطع (آب) فى أسماء المجموعات السكانية للمنطقة التى سيطر عليها العنج، وهو مقطع يسود فى منطقة البجه وقد اصطلح على أنه مقطع بجاوى[٩]، ويمكننا أن نرصد هذا المقطع البجاوى فى منطقة يمكن حصرها وتحديدها.

وأول ما نلاحظ أنعدام هذا المقطع فى التقسيمات السكانية لمنطقة النوبة السفلى ويبدأ فى الظهور فى منطقة الشايقية فى الشلال الرابع ثم نجده بكثافة عند المناصير والرباطاب والميرفاب وينتشر فى منطقة الجعليين والجموعية، ونجده عند المرغماب والشكرية والبطاحين فى المنطقة ما بين نهر عطبره والنيل ثم نجده عند العشائر التى تسكن فى المنطقة الشمالية من النيل الأزرق مثل الخوجلاب الدانياب . . الخ، ثم نجده فى بعض المناطق الشمالية من الجزيرة والنيل الأبيض عند الحسانية والحسنات. ثم ينحسر جنوب ذلك فى النيل الأزرق والأبيض، ويظهر لنا هذا المقطع عند نسبة كبيرة من بطون قبائل الكبابيش ويختفى هذا المقطع فى مناطق كردفان ودارفور ويكاد ينحصر فى نفس المنطقة التى حددناها سابقا بأنها منطقة شيوع التراث عن العنج[١٠]. (انظر الخارطه رقم ٦)

نظام الحكم:

ومن هذا التحديد لانتشار المقطع آب وارتباطه بمنطقة حكم العنج قد نصل إلى ترجيح دلاله هذا المقطع على نظام سياسى واجتماعى ناتج عن فترة حكم العنج وليس تأثرا باللغة البجاوية فحسب، وقد وضحنا سابقا أن نظام الحكم عند البجه عموما وعند البلو (العنج) كان يعتمد على تقسيم السكان فى شكل عشائر وبدنات وحصص حتى تسهل ادارتهم واستغلالهم بفرض الرسوم والاتاوات والخدمات عليهم لصالح الفئة الحاكمة(١١). وهذا النظام يعتمد على تجميع السكان تحت إدارة واحدة، ونرجح ارتباط هذا المقطع بحكم العنج لأسباب أهمها:

١- أن هذا المقطع ينعدم فى التكوينات خارج المنطقة التى حكمها العنج ففى كردفان مثلا تتبع التقسيمات العربية المعروفة مثل بنى جرار، بنى حسين، أو أولاد عقبة، أو عيال بخيت أو بول فلان أو النسبة إلى شخص مثل المهرية والماجدية.. الخ التقسيمات المألوفة(١٢). بينما نجد التكوينات التى حدثت بعد انتهاء حكم العنج قد أخذت تتكون فى كيانات كبيرة وأسماء مختلفة مثل الجعليين، الشايقية، والجموعية. ولكن التقسيمات الفرعية احتفظت بالمقطع "آب"، ونجد أن الرشايدة والزبيدية مثلا الذين وفدوا للمنطقة فى فترة متأخرة لم يتأثروا بهذا المقطع بالرغم من وجودهم فى قلب منطقة البجه، ومازالت تقسيماتهم عربية الدلالة(١٣). ومن ناحية ثالثة فان فروع القبائل التى هاجرت بطون منها إلى خارج منطقة العنج لم تتأثر بهذا المقطع مثل كواهلة كردفان ومناصير كردفان ودارفور. ومن ناحية أخرى نجد أن هذا النظام لم يكن نظاما قبليا يعتمد على القرابة لتكوين قبائل محددة فلذلك نجد مناطق مثل الرباطاب هى خليط من أجناس شتى من المحس، والشايقية والازيد وبعض العبابدة والمناصير ولكن كل هذا الخليط يطلق عليه اسم الرباطاب مادام يعيش فى منطقة الرباطاب.

وأول أشارة لطبيعة حكم العنج قد نجدها عند الفارز الذى يصف لنا المنطقة فى أواخر العهد المسيحى وقد تكون فترة العنج حيث يقول أن هذه المنطقة من النوبة "يحكمها عدد من العقداء (Captains) يعيشون فى حصون وأن هناك عددا منهم بقدر ما هناك حصون، وليس لهم ملك يوجدهم"(١٤) ووصف الفارز يحدد لنا أن الحكام يعيشون وسط رعاياهم فى حصون ووصفه بأنهم عقداء (Captains) يرجح أنهم ذوي صفة عسكرية قد تدل على أنهم يحكمون الرعايا بصورة قهرية تعتمدعلى

القوة العسكرية. ونلمح استعمالهم للقوة فيما جاء عند النبر "بأن أولاد مسلم عندما بغوا وتعدوا على الحدود التى لم يكن لهم أن يتعدوها فى العادة الجارية أتتهم بسبب ذلك سرية قوم من العنج قتلوهم عن آخرهم إلا من نجا بفضل الطفولية"(١٥) والتراث الشفاهى يصف فترة العنج بأنها فترة ظلم وقهر وتعدى. ومن الصفات المنسوبة إلى العنج وصفهم بالطول والضخامة والقسوة التى تذكرنا بما جاء عن البليين عند الادريسي "وهم ذو صرامة وعزم، يهابهم جيرانهم ويهادنونهم"(١٦) وكذلك ماجاء عند لوبو الذى يصف من إلتقى من "البلو" فى سواكن "بانهم هم وخيولهم أكبر حجما من جيرانهم"(١٧) ولكن تفسير ذلك قد يكون فى لبسهم الدروع لانفسهم ولافراسهم وهو مصدر قوتهم الحقيقية كما جاء عند (كراوفوت) الذى يصف ظهور غزاة من البجه للبطانه "أن قوتهم قد تعزى لاستعمالهم الدروع لهم ولخيلهم وهو سلاح جديد فى ذلك الوقت"(١٨).

وهؤلاء العقداء الذين وصف الفارز انتشارهم بعدد الحصون، يجد تأييداً من المسوحات الأثرية لمنطقة النيل الأوسط وقد لاحظ الاثاريون أن هناك عددا كبيرا من الحصون التى تمثل مسكنا للحاكم أو السيد لفئة سكانية تتجمع حول هذا الحصن، والملاحظ أن جل هذه الحصون فى المنطقة ما بين الشلال الرابع والخامس ترجع لفترة ما فى تلك المرحلة المقسمة بين أواخر العهد المسيحى وأوائل عهد الفونج،(١٩) والتى يرجعها التراث الشفاهى إلى "العنج". وقد نرجح من طبيعة هذه الحصون أنها لم تكن من أجل الدفاع أمام عدو خارجى بعكس القلاع المنسوبة لأواخر العهد المسيحى وإنما هى وسيلة للسيطرة الداخلية لحاكم من طبقة مختلفة ولديه جنود يحمونه. ويبدو أن هذه الحصون كانت المصدر الأساسى لفرض القوة والسيطرة والتحكم فى التجمعات السكانية. والملاحظ على هذا النمط من الحصون أنه بدأ فى الانتشار فى المنطقة فى أواخر العهد المسيحى أو "زمن العنج". وقد استمر استعماله خلال فترة الجعل التى ورثت عن العنج طبيعة حكمهم.

وهذه الحصون التى وصفها لنا الفارز قد تدلنا على تقسيم المناطق على كيانات ادارية تعتمد على السيطرة على السكان كما أوضحنا وعلى رأس كل منطقة أو مجموعة سكانية حاكم أو سيد من العنج. وإشارة الفارز بأن ليس لهم ملك يوحدهم قد تكون مفهومه إذا نظرنا إليها من منظور التراث البجاوى الذى فيه قدر كبير من الاستقلال للحكام ولكن من الراجح أن واحدا من هؤلاء يمثل الرئاسة على نمط ماعرف من نظام البجة الذى أشار اليه ابن سليم بقوله "وأنسابهم من جهة

النسـاء ولكل بطن منهم رئيس، وليس عليـهم مـتملك، وهم يورثون إبن البنت وابن الأخت دون ولد الصلب، وكان قديماً لهم رئيس يرجع جميع رؤسائهم إلى حكمه[٢٠] وقد عرف عن البجة عموما أنهم يحكمون فى شئونهم رؤساء البيوت، ويخضعون إلى رئيس كبير يحتكمون اليه عند الملمات[٢١].

وقد نستدل على هذا من النظام الذى ورثه "الجعل" والجعل كانوا يحكمون فى القضايا المهمة مجلس مطارق جعل السبعة وهو بمثابة جمعية دستورية من سعبة فروع سنت قانونا يرجع اليه حكامها عند اللزوم"[٢٢].

ومن أهم ما يتطرق إليه هذا المجلس حل المنازعات بين أفراده أو حول الأمور العامة. وقد نلمح ذلك فى بعض ما وصل الينا من أحكام يصدرها هذا المجلس مثل الحكم بالتنجيل وهو حكم على بعض السكان أو الأفراد بإخلاء المنطقة والخروج منها لفترة محددة أو بصفة دائمة ولدينا مثال من فترة العنج حيث يصف لنا النبر "أن أحد القراوين قتل آخر فنجلوه إلى دنقلا" ونجد فى تراث الرباطاب "عندما تغاورا الفلاليت والدبوراب نجلوهم إلى أتبرا[٢٣] والتنجيل كلمة بجاوية تعنى النقل من مكان إلى مكان[٢٤]، ونجد نفس هذا الدور يقوم به مجلس المطارق السبعة عند الجعل" عندما تولى الملك سعد بن عبدالسلام المكنى بأبى دبوس، حصلت فى زمنه فتنة بين أيديه من القبائل وبين النافعاب والنفعياب حتى سفكت الدماء، فتحاكموا إلى المطارق السبعة فقضت بين النافعاب والنفيعاب بالانتقال من الدار بعد عشرين يوما"[٢٥] ومازال هذا الأمر سائدا فى قضايا سفك الدماء فى قبائل البشارين وهو الحكم بالتنجيل خارج المنطقة لفترة تحددها طبيعة الحدث[٢٦].

فيما سبق عاليه أشرنا إلى طبيعة الحكم عند العنج ثم تطرقنا إلى طبيعة أنفراد الحكام فى مجمعات سكانية ثم أشرنا إلى مجلس الرؤساء ومطارق جعل السبعة وقد نلمح طبيعة هذا المجلس بالنظر إلى تكوين أعضائه وقد يعيننا تراث مملكة تقلى الذى احتفظ لنا بكثير من المسميات وأليات الحكم التى ترجع إلى أصول حكامهم من الجعل أو الرباطاب[٢٧] ونجد أن النظام فى هذه المملكة على رأسه ملك تقلى وله مجلس من الأرابيب وروايه عبدالقادر تقول "والأرباب هو كل من ينتمى إلى الأسرة المالكة من ناحية الأم، والارابيب لهم شأن عظيم بسبب أن الأرباب (ودالمرأة) فهو مأمون لا يعشم فى الملك، والأرباب هو الوحيد الذى له حق دخول حوش الملك فى أى وقت، والارابيب لانهم مأمونين يختار منهم أربعة يسمونهم الدورروب – أى المدخل للمك – يعنى أى زول من الشرق له أرباب محدد يدخله على

الملك واى زول من الغـرب أو الشـمـال أو الجنوب له أرباب مـحـدد يدخله للملك. (والارابيب فى مملكة تقلى) عددهم تسعة ويكونوا مجلس (زى مجلس أمن الدولة) جلساته سرية ويناقشوا الحاجات الخطيرة فى المملكة التى تخص القبيلة أو تخص الملك نفسه، مما يمس سمعة الملك أو القبيلة يناقش بواسطة الارابيب التسعة[٢٨] ويضيف (فرح عيسى) أن "مجلس الارابيب «جمع أرباب»، من مهامه نصح الملك ورسم خط الحكم له، وهذا المجلس هو الذى يتدخل ويقرر عزل الملك إذا ضاقت من حكمه الرعية[٢٩]".

ومما أوردناه عاليه نلاحظ أن لقب أرباب يطلق على حكام المنطقة الوسطى التى حكمها العنج ويندر استعماله فى خارجها. ويبدو أنه فى الأصل كان لقبا لحكام الأقسام المتفرعة. فقد ورد هذا اللفظ لأحد حكام الشايقية، وكان يطلق على حكام الرباطاب حتى زمن الأرباب أبوحجل ونجده عند الميرفاب حتى زمن الأرباب نصرالدين وكان لقبا لحكام الجعليين حتى زمن الأرباب محمد ولد الملك نمر ونجده عند ملوك الجموعية وهو يختص بالمنطقة التى حكمها ولد عجيب ويندر استعماله لحكام المناطق الأخرى التى "حكمها الفونج"[٣٠] مباشرة.

وإذا حاولنا الوصول إلى أصل هذا اللقب فاننا نرجح أنه مركب من مقطعين الأول أور والثانى/ باب ونبدأ بالمقطع الأول:

المقطع الأول قد يكون من اللفظ النوبى "أور" والكلمة كما ترد عند النوبيين تعنى فى أصلها الرأس، وقد استعملت فى معنى رئيس أو ملك، ونجدها مازالت مستعملة عند النوبيين فى وصف العريس والذى يقول التراث "أن العريس يصير ملكا فى يوم عرسه يأمر وينهى وله وزراء ويتمثل بكل طقوس السلطة فى لحظات الجرتق ويعامل كملك مطاع[٣١]". وقد ورد هذا اللقب فى وصف ملوك النوبه وأشهرهم (أور ناصر) الملك ناصر عند النوبيين[٣٢].

ونجد هذا اللقب قد تم الاحتفاظ به فى جنوب منطقة الفونج حيث أورد الشاطر بصيلى أن "وورAUR" هذا هو لقب الزعيم المحلى ويقابله "مك" المستعمل بين المجموعات فى السودان الأوسط، ولهذا الزعيم السلطات المدنية والدينية فى منطقته. وعليه أن يقوم بدور رئيسى فى إقامة الشعائر الدينية. ويفصل هذا الزعيم فى المشاكل التى تعرض عليه، كما أن من واجبه أن يرعى مصلحة منطقته المعيشية ويعاونه فى ذلك موظفون. وأما المشاكل الهامة فتقدم إلى "الوور" الذى يفصل فيها باستشارة (مجلس) الاجاويد وسيد القوم"[٣٣]. وهناك احتمال كبير بأن اللقب الذى

كان يطلق على ملك الأبواب فى المصادر العربية، (أدر ملك الأبواب[٣٤] قد تكون قراءة النص (أور) حيث يختلط حرف (واو والدال كثيرا عند النساخ وفى قراءة المخطوطات العربية)، وقد لاحظنا أن هذا اللفظ (أدر أو أور) كان يطلق دائما على من يملك الأبواب. وبناء على ما أوردناه من أن لفظ (أور) يعنى رأس وتعنى رئيس وتقابله لفظ ملك فإن المقطع الأول من لفظ الأرباب يكون محسوما ولكن المقطع الثانى يحتاج إلى تعليل وهناك ثلاثة احتمالات: الأول أن يكون من الكلمة البجاوية "باب" بمعنى أب والتى وردت فى لفظ أولباب[٣٥] كبير البجه الذى ذهب إلى بلاط المعتصم وتصبح من مقطعين نوبى/ بجاوى، والاحتمال الثانى فى نفس المعنى أنها من كلمة امباب النوبية بمعنى الأب. أيضا وتصبح أور امباب "ولا يستبعد أن تكون هذه الالفاظ أور/ باب مشتركة بين اللغتين النوبية والبجاوية" والمعنى الثالث أنها من باب العربية أو باب التى وردت فى تراث تقلى بمعنى أن الارابيب هم مدخل الملك.

وبالرغم من أن لقب أرباب كان لفظا قاصرا على حكام الكيانات الصغيرة فى المنطقة الوسطى، الرباطاب، الجعليين، الجموعية ولكنه بعد استبداله بلفظ "الملك" عند استقلال أو شبه استقلال هذه المجموعات فى أواخر عهد الفونج[٣٦] فان لفظ أرباب أصبح يستعمل لابناء الملوك وكل من له صلة من جهة الملوك، وحيث نجده يطلق على أبناء شيوخ العبدلاب وقراباتهم. وتدنى الاستعمال لهذا اللقب لفئات أدنى ويظهر فى الوثائق المتأخرة من عهد الفونج بدلالة مختلفة تماما عن أصل الاستعمال ويستعمل من دون تحديد كما أشار إلى ذلك أبو سليم[٣٧] والملاحظ أن هذا اللقب ظهر فى الوثائق المتأخرة جدا فى بلاط الفونج مما يرجح أن اللقب ليس أصيلا عند الفونج وقد اطلق على فئات منها حكيم الملك، خياط الملك، رفيق الملك ونسيب الملك وأيضا على بعض أبناء الفقهاء الذين أصبح يعج بهم البلاط أواخر عهد الفونج[٣٨].

والواضح أن لقب الارابيب (جمع أرباب) كان يطلق فقط على مجموعة حكام المناطق التى كانت تقع تحت نفوذ "ولد عجيب"، وأن ولد عجيب كان يمثل السلطة الاعلى التى يرجع اليها كل هؤلاء الحكام. والمعروف أن "ولد عجيب أو "الجعل" كما ورد عند النبرالذين "ولاهم الفونج بالتقديمة على ما كان بأيدى العنج من البلاد"[٣٩]، وهذا يعنى أن الجعل (أو ولد عجيب) قد ورثوا المناطق التى كان يحكمها العنج، ويبدو أن من ضمن ما ورثه (العبدلاب) من العنج بالإضافة للتقسيمات الادارية أيضا رموز "السلطة" تاج الملك وعقد الهيكلى المرصع بالدر والياقوت ورموز السلطة الأخرى من الدناقر والشراتى والمزامير"[٤٠] وربما أيضا لقب المانجلك الذى احتفظ

به الشيخ عجيب واقتصر عليه كآخر ملوك العبدلاب "الجعل" المستقلين قبل خضوعه للفونج ومن الملفت للنظر أن هذا اللقب ليس من الألقاب النوبية المعروفة ولم يستمر فى الاستعمال بعد عجيب كلقب رسمى (لاولاد عجيب) حيث استبدل عند الفونج بلقب (شيخ قرى) بالرغم من استعمال صورة منه (المانجل) عند المخاطبة من اتباعه ومن ناحية أخرى نجد لفظ مانجل قد احتفظ به ايضا الحلنقة (العنج) من ضمن ألقابهم واستعمل فى وقت متأخر "عند بعض بقايا الفونج" بعد انتهاء الدولة.

أثر العنج على السكان واللغة:

يلفت نظرنا فى المنطقة الوسطى الاشارات الكثيرة إلى وجود عنصر بجاوى فى التركيبة السكانية للمنطقة التى قام بحكمها العنج وخاصة فى الأسر الحاكمة، فنجد أن بعض الروايات الشفاهية المجموعة عن العبدلاب تشير إلى أن الشيخ عجيب تزوج من بنت ملك العنج[٤١]، وتزوج عجيب نفسه بمريم بنت عشيب من الأمرار وكانت نتيجة هذا الزواج هو ابنه عثمان والذى آلت إليه مقاليد الحكم بعده ثم عثمان نفسه تزوج من البجه (الكميلاب) بنتهم ايلقد.[٤٢] وبهذا نجد أن العبدلاب أنفسهم بدأ أمرهم بعلاقة قوية بالعنج والبجه وأن لغة الأم بالنسبة لبعض هؤلاء الاجداد كانت اللغة البجاوية، وهذه الظاهرة نجدها عند الجعليين أيضا حيث يقال أن نافع ونفيع أبناء الملك أبو دبوس كانت أمهم عنجاوية[٤٣] وقد احتفظ فرعهم بالرئاسة عند الجعليين، ويقال نفس الأمر عن الشايقية يقول حيدر "بوجود عنصر بجاوى قوى عند قبيلة الشايقية، خاصة فى فرعهم من الرعاة الذى يعيش فى الصحراء الشرقية، والذى يظهر عندهم الأثر البجاوى بوضوح "وتقول بعض روايات الشايقية الشفاهية بأن الشايقية والجعليين والجوامعة والجميعاب هم من أصل بجاوى واحد وأن جدهم غانم فى واحدة من غاراته على الهدندوه سبى "قليش" احدى بناتهم وولدت له جامع وجموع وتزوج غانم بقليش عندتصالح القبيلتين وولدت له شائق وعرمان جد الجعليين[٤٤].

وقد أشار بوركهاردت إلى أن الميرفاب فى منطقة بربر يرجعون بأصولهم إلى البجه[٤٥]. وقد تمت الاشارة إلى أن الرباطاب يظهر فى ثقافتهم وعاداتهم وتقاليدهم بعض المظاهر التى لا توجد بهذه الصورة إلا عند البجه ومنها المعاملة الخاصة للنساء وخاصة تجنب النسيبة ودفع الطيبة عند أغضاب المرأة وحق أولياء المرأة فى تأديبها وليس الزوج[٤٦]، ونجد نفس العنصر البجاوى عند الكبابيش الذى يقال

أنهم امتصوا فى داخل تشكيلهم القبلى بعض العناصر البجاوية(٤٧).

وفى هذا الصدد قد نعيد النظر إلى الاشارات التى وردت عند الرحالة الاوروبين وقد استبعدها البعض مثل مانقله الرحالة كلوستو من أن الكبابيش يتكلمون نفس اللغة التى يتكلمها العبابدة والبشارين(٤٨) وهى اللغة التبداوية" وعلق طلال أسد أن كلوستو قد لا يكون مخطئا كل الخطأ لأنه قابل بعض الكبابيش فى منطقة دنقلا ولكن الكبابيش اليوم لا يتحدثون بهذه اللغة ومن جهة أخرى يورد الرحالة ڤيرن " أنه فى وقت زيارته فى (١٨٤١م) كان الشكرية يتكلمون بلغة مماثلة للغة البشارين والهدندوه"(٤٩) وفى روايات الجعليين عندما هم الملك نمر بالرد على طلبات اسماعيل باشا نجده "تكلم معه الملك مساعد باللغة البجاوية طالبا منه التريث فى الرد(٥٠)

ويشير عون الشريف إلى التيار البجاوى فى لغة وسط السودان بقوله"وإذا تركنا التيار النوبى فاننا نصطدم مباشرة بالتيار البجاوى الذى ينساب قويا فى صلب لهجتنا ويقف شاهدا على أن الاتصال بين المجموعات البشرية فى السودان كان منذ القدم قويا وحادا، فنحن نتحدث بالتبداوى حين نذكر المرفعين والبعشوم والبعنيب أو نستعمل العنقريب والكركب والفندك والدانة للشراب والسكسك والكرورية والنصل أو حين نأخذ الشبال فى العرس ونستعمل فى مجال الأطعمة الدوف والقنقر والعنكوليب، أو حين نقول لمن لم يحالفه الحظ جلا أو ننادى الطفل بالدرفون أو نشكو من الدبس ونبرم الشنب ونطبل البيت بالطبلة ونقول لمن يرحل قنجر ونصف الشفاة الغليظة بالشلاليف، وأصل الشلوف عندهم خرطوم الفيل، ونرى أن تأثير البجة فى لهجتنا اعمق من ذلك بكثير. والسؤال الذى يجابهنا هنا هو هل أمتد نفوذ البجا إلى منطقة وسط السودان فأثروا منذ القدم فى اللهجة تأثيرا مباشرا كما فعل النوبة؟"(٥١).

ومن هذا العرض للتيار البجاوى فى السكان واللغة قد يرجح لنا بأن الطبقة الحاكمة من العنج احتفظت بلغتها البجاوية فى الحكم وأورثتها لخلفائها من الجعل والعبدلاب واستمرت فى الاستعمال لفترة ما حتى أصبحت تيارا فى اللغة العربية عند سيادتها فى آخر الأمر كما أشار لذلك عون الشريف.

العنج والمؤسسة الدينية

يبدو أن فترة سيطرة العنج على المنطقة التى خضعت لحكمهم أثرت تأثيرا كبيرا على وضع المؤسسة الدينية والتى لم يكن من طبيعتهم ولا طبيعة حكمهم مكانا لمثل هذه المؤسسة فى تنظيماتهم الاجتماعية والسياسية ولدراسة تأثير فترة حكم العنج على المؤسسة الدينية يجدر بنا أن ننظر إلى دور المؤسسة الدينية فى الحضارات والفترات التاريخية المتعاقبة على الحكم فى السودان وقد لاحظ المؤرخون الدور الأساسى للمؤسسات الدينية فى كل الفترات التاريخية السودانية.

ففى فترة نبتا ارتبطت المؤسسة الدينية وتلاحمت بالسلطة السياسية وكان من المعروف أن ملوك نبتا يمثلون قمة الجهازين السياسى والدينى. وصار الملك فيهم خليفه آمون فى الأرض وحامى حمى المؤسسة[١] الدينية وورثت دولة مروى هذه المؤسسة وزادت عليها بأن اصبحت المؤسسة الدينية ذات طابع محلى فى الالهه وفى اللغة وتضخمت المؤسسة الدينية بشكل كبير واصبحت لها مجمعات دينية قوية فى النقعه والمصورات، وفى هذه الفترة ضعف الأثر المصرى المباشر على المؤسسة الدينية وظهر أثر محلى قوى وارتكزت جذورها فى المجتمع واصبحت مؤسسة شعبية تهم المجتمع كله وليس السلطة السياسية وحدها.[٢]

وعند بداية الفترة المسيحية كانت المؤسسة الدينية قد اصبحت حقيقة راسخة فى التكوين الحضارى والثقافى للمجتمع فى السودان القديم. وورثت الكنائس والكاتدرائيات دور المعابد السابقة وأصبحت المسيحية دينا رسميا للدولة، احتضنها الملوك الذين قاموا ببناء الكنائس وكانت لهم صفتهم الدينية المعتبره على رأس وظائف الكنيسة. وقد ارتبطت الكنيسة النوبية بالسلطة السياسية تزدهر بازدهارها وتنكمش بانكماشها[٣]. وفى الفترة الأخيرة من عمر الممالك المسيحية فى السودان شهدت الكنيسة تطورا بالغ الاهمية حيث اصبحت الكنيسة النوبية محلية الطابع، واضحت شعائرها تؤدى باللغة النوبية، وظهر لها تراث ثقافى خاص ناتج عن تدوين اللغة النوبية التى ترجمت اليها الاناجيل والتراتيل الدينية، الأمر الذى استدعى أن يكون القساوسة من النوبيين أنفسهم إلى حد بعيد، وفى هذه الفترة انتشرت الكنائس الصغيرة على طول مجرى النيل وفى القرى.

وصارت الكنيسة مؤسسة شعبية محلية احتضنها المجتمع كجزء اصيل من مؤسساته الاجتماعية والثقافية تتفاعل مع المجتمع دون الاحتياج الشديد لروافد من

الخارج. وخاصة أنها تتمتع بالرعاية والحماية من السلطة السياسية المركزية بحسبان أن رعاية المؤسسة الدينية وحمايتها من اخص واجبات ووظائف الملك النوبى.[٤]

وهدفنا من هذا العرض المختصر لدور وطبيعة المؤسسة الدينية فى الحضارات والثقافات الدينية المتعاقبة تبيان أنها كانت فى صميم المؤسسات فى البنيه الحضاريه والاجتماعية والسياسيه للدولة، منذ عهود نبتا ومروى وحتى العهد المسيحى واهتمامنا فى هذا البحث عن تأثير العنج على المؤسسة الدينية، يقودنا أولاً إلى استعراض مصير الكنيسة فى المنطقة الشمالية فى دولة المقرة، حيث ظهر مؤخرا أن هناك مملكة صغيرة عرفت باسم (دوتاو) احتفظت بكيانها النوبى المسيحى حتى أوائل القرن الخامس عشر فى استمرارية واضحة للتراث النوبى للدولة. وفى الجنوب ظهرت مملكة صغيرة أخرى عرفت باسم مملكة الأبواب وفى نفس الفترة تقريبا، وقد تعرضت المملكة الأخيرة إلى حكم عنصر جديد فى اعتقادنا هم العنج والذين لم يكن حكمهم امتدادا للثقافة النوبية ولذلك كان لهم تأثير ظاهر على المؤسسات السياسية والاجتماعية ومن ضمنها المؤسسة الدينية. مما قد نصل اليه باستعراض مصير المؤسسة الدينية فى كل من المنطقتين.

وقد اثبتت الحفريات والوثائق المكتشفة مؤخرا أن مملكة مسيحية صغيرة استطاعت الاستمرار والبقاء فى منطقة جبل عدا وقصر ابريم حتى نهاية القرن الخامس عشر. وقد اطلق على هذه المملكة اسم (دوتاو). ومن ضمن الوثائق التى تم العثور عليها وثائق تحمل اسم الملك جويل واسم البطريق حتى سنة ١٤٨٤م وترد فى الوثيقة قائمة طويله من موظفى البلاط كتبت بالطريقة النوبية التقليدية. ومن ضمن هذه القائمة يظهر اسم البطريق (مركى) من قصر ابريم واسم قسيس آخر، (أوتيقاوى) والتاريخ الذى حدد لكتابة هذه الوثيقة هو سنة ١٤٨٤م، ومؤرخه فى عهد الملك (جويل) ملك دوتاو[٥] وتدل الوثائق المكتشفة فى قصر ابريم أيضا. بالاضافة إلى وجود الملوك ايضا إلى وجود البطريق والقساوسة المسيحيين فى هذه الدولة وأن هذه المملكة المسيحية استطاعت الاستمرار لاكثر من ١٥٠سنة على الاقل بعد التاريخ المفترض لانتهاء المسيحية فى مملكة المقرة. ومن الوثائق يتضح لنا أن ملوك مملكة (دوتاو) لم يكونوا ينظرون لانفسهم كمجرد مسيحيين، ولكنهم كانوا ينظرون لانفسهم كرعاة وحماة للكنيسة. ويبدو من قائمة الموظفين المدنيين والدينيين المذكورين فى نقش الملك (جويل) التى توحى بأن السنوات الأخيرة للمسيحية فى النوبة شهدت

اتحاد الكنيسة فى جسد واحد، الأمر الذى حافظ عليها حتى انتهاء الدولة المسيحية وبالرغم من انقطاع الكنيسة فى دوتاو عن الكنيسة فى الاسكندرية الا أن ملوك دوتاو، يبدو أنهم، قد تقمصوا فى شخصهم بقايا الوظائف الدينية من ضمن صلاحياتهم فى شكل كنيسة وطنية غير مرتبطه فى شئونها بالخارج، مما مكنها من الاستمرار لفترة قصيرة. وكان الدعم الفاعل لاخر مظاهر الكنيسة النوبية يمكن له أن يأتى فقط من الحاكم المحلى وليس من الخارج. ولذلك يجئ الاحتمال أن اختفاء الدولة والكنيسة معا قد تم فى وقت واحد فى اواخر القرن الخامس عشر الميلادى حيث لانجد ذكرا لاى منهما بعد سنة ١٤٨٤م. ويبدو واضحا أن مصير الكنيسة فى هذه الفترة كان مرتبطا بمصير الدولة المسيحية. وقد كان مصير مواقع الكنائس فى هذه المنطقة، أما أنها هجرت تماما بما تحمل من تصاوير ورسوم، وبعضها يدل على أنه تم استعمالها كمساكن عاديه فى سنواتها الأخيرة واخرى وصل بها الحال إلى أن استعملت كمرابط للحيوانات وكملجأ طبيعى لا غنام النوبيين. وليس هنالك من دليل على استعمال أى من مبانى هذه الكنائس كمساجد اسلامية فى منطقة النوبه. ما عدا كنيسة قصر ابريم.(٦)

المؤسسة الدينية فى مملكة الابواب:

وفى مملكة الأبواب والتى عاصرت نفس الفترة التى قامت فيها مملكة دوتاو (القرنين الرابع عشر والخامس عشر)، نجد أن هذه المملكة مثلها مثل "دوتاو" قد احتفظت بطبيعتها المسيحية لفترة ما. ويستنتج هيكوك من الكثرة الواضحة لاثار الكنائس فى هذه المنطقة على حدوث هجرة مكثفة للاجئين مسيحيين جاءوا لهذه المنطقة فى القرنين الثالث عشر والرابع عشر الميلاديين، هربا من التدخلات المستمرة للمماليك المصريين فى شئون دنقلا. ويضيف "أن المجتمع المحلى كان مجتمعا محافظا فى هذه المنطقة المحمية والبعيدة عن تيارات التغيير وأنه استطاع المحافظة على معتقداته وموروثاته المسيحية لفترة طويلة"(٧). ولابد أن هذه المؤسسات المسيحية الواضحة الانتشار فى آثار هذه المنطقة تدل ضمنا على رعاية الحكام النوبيين لها وقد شهدت مملكة الأبواب طوال القرن الثالث عشر وبداية القرن الرابع عشر ازدهارا عكسته الآثار المنسوبة لتلك الفترة بالاضافة إلى إشارات المؤرخين العرب إلى(أدر) ملك الأبواب وهو ملك من ملوك النوبة له اقليم متسع(٨).

ونرجح أن المؤسسات المسيحية فى فترة ملوكها النوبيين قد استمرت على نفس

النمط الذى استمرت به فى مملكة "دوتاو" وأن ملوك الأبواب قاموا بنفس الدور الذى قام به ملوك "دوتاو" من بسط الرعاية والحماية على الكنيسة بما فى ذلك دور الملوك فى تعيين الموظفين الكنسيين وترسيم القساوسة والاحتفاظ للكنيسة الوطنية بوحدتها ككنيسة نوبية مستقلة وغير محتاجة إلى رفد خارجى لاستمرارها.

ولكن بظهور "العنج" على الساحة وسيطرتهم على الحكم فى المنطقة والذى يرجح أنه قد تم فى أواخر القرن الرابع عشر، نجد أن الكنيسة قد أصابها الانهيار والحيرة الدينية نسبة لطبيعة حكم العنج الذى لا يضع دورا للمؤسسات الحضرية واتجاههم الاستغلالى للمجتمع مما جعل الكنيسة تفقد أهم عناصر بقائها وهو دعم الحكام لها. وضعف الدعم الشعبى لها نتيجة لحكم العنج الذى لم يترك فائضا للمجتمع المحلى يرفد به المؤسسة الدينية حتى وصلت فى فترة العنج إلى المرحلة التى يصفها لنا "الفارز" الذى زار أثيوبيا بين (١٥٢٠ - ١٥٢٧م) "سمعت من رجل سورى من مواطنى طرابلس فى سوريا واسمه يوحنا السورى.. أنه مر بهذه المنطقة (النوبية) وأن هذه البلاد فيها مائة وخمسون كنيسة مازالت تحتوى على الصلبان، ورموز للسيدة مريم العذراء ورموز (مسيحية) أخرى مرسومة على الجدران وكلها قديمة! ويقول أيضا بينما كنا فى أرض النجاشى (الحبشة) حضر ستة رجال من هذه البلاد "للنجاشى" نفسه يرجون منه أن يرسل لهم قساوسة ورهبان.. ويقال أنه قال لهم أنه تحصل على أبونا من بلاد المسلمين (يعنى بطريقية الاسكندرية) فكيف له إذا أن يعطى قساوسة ورهبانا وهو نفسه يحصل عليهم من الآخرين. ويقال أن هؤلاء النوبيين كانوا يحصلون على مايطلبون من روما. وأنه منذ زمن طويل توفى البطريق الذى جاءهم من روما وبسبب حرب المسلمين لم يمكنهم الحصول على بطريق آخر.. وبذلك فقدوا كل مسيحيتهم وقد وصف سكان هذه البلاد بأنهم ليسوا بمسيحيين ولا يهود ولا مسلمين ولكنهم يؤملون فى أن يظلوا مسيحيين"(٩).

ومن ناحية أخرى فان آثار المنطقة تدل على أن الكنائس قد استمرت بأداء دورها بصورة أو بأخرى فى فترة العنج معتمدة على الدفع الذاتى لموروثاتها القديمة ثم تحولت تدريجيا إلى فترة من التيه ثم تحولت فى أواخر عهدها لتصبح مؤسسات إسلامية بدون أن تكون هنالك فترة فراغ فى هذا التحول - مما يرجح الاعتقاد بأنه تحول تدريجى للكنسية والمجتمع حولها من المسيحية للإسلام بنفس الوظيفة السابقة للكنسية كمؤسسة دينية تحولت للاسلام عند تحول المجتمع حولها وقد

تكون بنفس القائمين بأمرها[١٠] - ويمثل لهذا التحول التدريجى كنائس "أرتل" التى أصبحت مسجد "البوشاب"، وكنيسة "مرو" التى أصبحت مسيد الفكى عيسى وكنيسة "الكرو" والتى أصبحت مسجد ود صالح، ومن الملفت للنظر أيضا فى هذه المنطقة أن الكنائس التى لم تتحول إلى مساجد أو خلاوى قد تحولت إلى مزارات تحظى بالتقديس مثل كنيسة "قنديسى: وكنيسة "أرتل الثانية"، بل أن بعض مقابر القديسين من الفترة المسيحية اضفى عليهم الطابع الإسلامى كأولياء وأصبحوا مزارات محجوجة ونسجت حولهم الحكايات، ويمثلهم فكى حسين فى "دم التور" وأب شارب فى "الكربة"[١١].

ويشير المسح الأثرى إلى أن الكنائس قد مارست دورها بشكل أو بآخر حتى القرن السادس عشر. ويقول هيكوك "أنه فى بعض الأماكن فى هذه المنطقة مثل فليكول فان فخارا من الفترة المسيحية المتأخرة يوجد جنبا إلى جنب مع فخار فترة الفونج، مما يقود للافتراض بأن بعض المجموعات المسيحية، استطاعت البقاء والاستمرار لفترة طويلة فى هذه المنطقة البعيدة عن تيارات التغيير"[١٢].

ومن استعراضنا لواقع الكنيسة فى فترة مملكة (دوتاو) والتى استمرت كمملكة نوبية مسيحية حتى آخر أيامها، واختفاء الدولة والكنيسة معا فى أواخر القرن الخامس عشر. ومقارنة ذلك بما حدث للكنيسة فى مملكة الأبواب والتى استمرت لنفس الفترة الزمنية تقريبا. نجد الاختلاف فى أن الكنيسة فى مملكة دوتار استمرت كمؤسسة دينية تحظى بدعم الملوك الذين حفظوا للكنيسة كيانها بتقمصهم لدور السلطة الكنسية العليا ولذلك لم تخلو هذه الكنائس من وجود (بطريق) وقساوسة حتى نهاية عهدها. وأن ما خلفته من كنائس ومبانى لم يستمر استعماله فى الفترة الإسلامية[١٣].

وفى مقابل هذه الصورة نجد أنه عند سيطرة العنج، والذين لم يكن من طبيعتهم وطبيعة حكمهم مكانا للمؤسسة الدينية فى تنظيماتهم الاجتماعية والسياسية والتى قسمت المجتمع إلى طبقتين متمايزتين هما طبقة الحكام وطبقة الرعايا، وهو نوع من الحكم يجعل من كل فائض الإنتاج المحلى حقا خالصا للحاكم وبطانته ومؤسسته العسكرية والتى تسيطر على هذا المجتمع، مما يرجح أن ملوك "العنج" لم يهتموا بأمر الكنيسة كمؤسسة دينية، ولم تحظ بدعمهم ولم يوفروا لها الدور المنوط بالحكام كقادة ورعاة للكنيسة، ولم يتركوا للمجتمع المحلى فائضا يذكر لدعم هذه الكنائس على المستوى الشعبى.

ومن ناحية أخرى فإن فترة حكم العنج وغياب دورهم فى رعاية الكنيسة، وتنظيم شئونها، قد أثر على هذه الكنائس من الناحية التنظيمية، حيث أن نظام الكنائس يعتمد على سلطة دينية أعلى تنظم شئونها وتعمد وترسم القساوسة والرهبان، أو يعتمد على كنيسة رئيسية على رأسها "كبير بطارقة" له الحق فى اعتماد القساوسة والرهبان للكنائس الادنى، وقد لاحظنا أن مملكة (دوتاو) فى الشمال قد تجاوزت هذا الأمر بتقمص الملوك لهذا الدور، الأمر الذى مكن الكنيسة فى (دوتاو) من الاستمرار ككنيسة نوبية محلية لا تحتاج إلى دعم خارجى لوظائفها الكنيسة ولذلك لم تخلو من وجود (بطريق) وقساوسة حتى نهاية عهدها فى القرن الخامس عشر. وأن مصير الكنيسة كان مرتبطا بمصير مملكة دوتاو(١٤).

ونجد أن تأثير فترة العنج على الناحية التنظيمية للكنيسة كان واضحا جدا ففى عهدهم وبغياب دور الملوك فى قيادة شئون الكنيسة اصبحت الكنائس لا تجد من يعمد قساوستها. ولذلك نجدهم يبحثون عن قساوسة فى الخارج. وقد ذكر يوحنا السورى بأنه كان لهم (بطريق) من روما وأشار الفارز لبحثهم عن قساوسة من الحبشة(١٥). الأمر الذى جعل هذه الكنائس تستمر بدفع ذاتى حتى فقدت تدريجيا دورها كمؤسسات مسيحية واضمحلت وتدهورت حتى وصلت إلى المرحلة التى وصفها يوحنا السورى للفارز ثم بعد فترة من التيه تحولت هذه الكنائس إلى مساجد ومزارات إسلامية تحظى بالتقديس بعكس ماحدث فى مملكة دوتاو حيث اختفت الكنائس المسيحية مع اختفاء الدولة(١٦).

وبالرغم من أن العنج لم يساعدوا فى الحفاظ على الكنائس بالصورة التى حدثت فى مملكة دوتاو فى منطقة النوبة السفلى وتركوا للكنيسة تدبير أمرها بنفسها إلا أنه فى نفس الوقت لم يشجعوا قيام مؤسسات اسلامية بديلة، وبالرغم من أن مملكة الأبواب شهدت استيطان عدد من الأسر من المسلمين النازحين اليها من منطقة النوبة إلا أن هذه الأسر لم يتعد وضع أفرادها فى تلك الفترة غير وجودهم كمسلمين اتيحت لهم فرصة استغلال الأرض والاستيطان وربما ممارسة شعائرهم الإسلامية بحرية. وبالرغم من العديد من الشخصيات الدينية الإسلامية التى تذكر بأنها كانت تعيش فى عهد العنج ويقال أن بعضهم "كان قاضيا فى زمن العنج" إلا أن ايا من هذه الشخصيات لم يعرف عنه قيامه بتأسيس خلوة أو مسجد كمؤسسة دينية معروفة لدينا(١٧). وفى هذا المجال يمكننا أن نأخذ أسرة العبابسة كمثال موثق لدينا من منطقة الأبواب وتقول وثائقهم أن جدهم الشيخ شرف الدين

هاجر فى أواخر القرن الرابع عشر (بعد أن كان مستقرا فى صعيد الريف ببندر اسوان ثم رحل واستقر فى الكاسنجر من بلاد الشوايق فى طرف بلاد السودان ثم أن بنيه قدموا ارض التكاكى (الاسم النوبى للأبواب) فى زمن العنج واحيوا كثيرا من السواقى ونظير هذا الاستغلال اعطوا كبار العنج أجرة وسكنوا ماشاء الله حتى انتهم قبيلة جعل المذكورة. وبالرغم من أن اسرة العبابسة قد استمرت تعيش تحت حكم العنج لاجيال عديدة إلا أنها لم تتمكن من انشاء مؤسسات دينية فى شكل خلاوى أو مساجد طوال فترة العنج[١٨].

ونلاحظ أن غياب المؤسسة الدينية استمر حتى بعد أن انتهى عهد العنج على يد الجعل الذين ورثوا العنج وربما نظم حكمهم أيضا الذى لم يكن فيه دور يفرد للمؤسسة الدينية ويبدو أن هذا الغياب لدور المؤسسة الدينية والذى نتج عن طبيعة حكم العنج قد استمر حتى ظهور الفونج وفرض سيطرتهم على المناطق التى كان يحكمها العنج ومن بعدهم الجعل.

ويفيدنا كانت الطبقات عن وضع المؤسسة الدينية الغائب عند ظهور الفونج بقوله (أعلم أن الفونج ملكت أرض النوبة وتغلبت عليها أول القرن العاشر سنة عشرة بعد التسعمائة ولم يشتهر فى تلك البلاد مدرسة علم ولا قران[١٩] والذى يفهم من هذه الجملة التى اوردها صاحب الطبقات هو غياب المؤسسات الدينية فى شكل خلاوى أو مساجد أو مدارس تعليم بالرغم من وجود شخصيات إسلامية فى زمن العنج تمت الاشارة اليهم فى التراث الشفاهى وفى النبر، وعند كاتب الشونة وغيرهم. ولكن تقرير الطبقات هنا يشير إلى غياب المؤسسة الدينية ذات الصفة المقننة والدور الواضح.

ويفيدنا صاحب الطبقات فى فقرة أخرى بالزمن الفعلى لعودة المؤسسة الدينية على يد حكام الفونج وبالتحديد عهد السلطان عمارة ابو سكيكين فى النصف الثانى من القرن العاشر (١٥٥٨ -١٥٦٩م) وهو الذى ولى الشيخ عجيب المانجلك (ففى أول ملكة قدم الشيخ ابراهيم البولاد من مصر إلى دار الشايقية ودرس فيها العلم، وانتشر علم الفقه فى الجزيرة، ثم بعد ذلك قدم الشيخ تاج الدين البهارى ثم قدم التلمسانى المغربى على الشيخ محمد ولد عيسى سوار الذهب واخذ عليه القرآن عبدالله الأغبش، ونصر ولد الفقيه ابو سنينة فى اربجى. ثم ظهرت ولاية الشيخ ادريس ولد الارباب . وجميع هؤلاء المشايخ المذكورين فى دولة الشيخ عجيب ومدتها احدى واربعين سنة (بعد ١٥٥٠م) [٢٠] ثم بعد ذلك يصف توالى قدوم

المشايخ فى هذه الفترة إلى المنطقة الوسطى، ونلاحظ أن جل هؤلاء المشايخ انتشروا فى منطقة الشلال الخامس وبربر ومنطقة الجعليين والحلفاية وبعض مناطق الجزيرة وحتى اربجى وهى نفس المنطقة التى كان يحكمها العنج الذين احدثوا فيها فراغا فى المؤسسة الدينية.

ونلاحظ أن الفونج بعد فرض سيطرتهم على الولاية الشمالية (الأبواب) شرعوا فى إعادة تنظيمها على نمط النظام النوبى القديم الموروث من عهد علوة وقد اثبتت بعض الدراسات أن طبيعة نظام حكم الفونج وتنظيماتهم تستمد كثيرا من جذورها من أنظمة الحكم فى الممالك النوبية السابقة[٢١]. ومن الملفت للنظر أن أول وصف لعمارة دونقس هو ماجاء عند روبينى الذى أطلق عليه بوضوح لقب "ملك سوبا" واطلقت المصادر المعاصرة على الفونج لقب "ملوك النوبة المسلمين"[٢٢] ويشير بعض الدارسين إلى الفونج بأنهم "نوبيون من النيل الأبيض"[٢٣] وقد ورد أن الفونج ظلوا يرجعون فى قسمهم إلى "سوبا بلد الجد والحبوبة"[٢٤].

ومن ضمن موروث سلطان الفونج من الأنظمة السابقة دور السلطان الأساسى كحامى وراعى للمؤسسة الدينية الأمر الذى يظهر فى حرص وثائق الفونج على وصف السلطان بـ"القائم بأمور الدنيا والدين والعامل على نشر ألويته"[٢٥]، وهى ألقاب مشابهة لألقاب ملوك السودان الأقدميين منذ "عهد نبتا وحتى العهد المسيحى الذين كانوا يحرصون على تأكيد صفتهم الدينية. ويفهم من النبر، أن أول ما قام به الفونج بعد اخضاعهم "للجعل" هو التفاتهم للمؤسسة الدينية وشروعهم فى تقنين دورها وإعادة مكانتها بوضع هذه المؤسسة تحت حماية ورعاية السلاطين المباشرة وبذلك فرضوا للمؤسسة الدينية وضعا أخرجها من سلطات موظفى الدولة وحكام الاقاليم.

والوضع الخاص للمؤسسة الدينية عند الفونج يسمى "الجاه"[٢٦] ويمكن تعريفه على حسب ماورد فى وثائق الفونج بأن الجاه هو "مرسوم سلطانى، صادر من سلطان الفونج، بمقر الدولة وبحضور كامل مجلسه وارباب دولته وموثق بختمه، وموجه إلى كافة سكان السلطنة حكاما ومحكومين، يقرر بموجبه اضفاء الحماية والحصانة من تدخل السلطة السياسيةوالتنفيذية والقضائية على بقعة محددة الموقع والمكان تكون مقرا لمؤسسة دينية وكذلك على القائمين بأمرها ويمنحها امتيازات واعفاءات من الضرائب المفروضة من قبل السلطان، ومن الدولة المركزية ومن السلطات المحلية بصورة مستديمة وتعتبر الاعتداء عليها اعتداء على هيبة

السلطان ومخالفة أوامره.

ويمكننا الاستعانة بوثائق الفونج لتحديد صورة المرسوم الذى يصدر بإضفاء الجاه والذى أصبح يكتب فى شكل وثيقة فى فترة ما بعد (١٧٠٠م)، وقد يكون هذا تقنينا كتابيا لممارسة لم تكن تستدعى ذلك فى أول أيام الفونج ويصدر المرسوم فى ما يمكن ترتيبه كالتالى[٢٧]:

(أ) مصدر المرسوم:

سلطان الفونج وبانعقاد كامل مجلس السلطان وبحضور اركان دولته، الذين ترد قائمة باسمائهم فى الوثيقة كشهود.

مكان الاصدار:

مقر الدولة "مدينة سنار المحروسة المحمية".

التعريف باسم المرسوم:

حجة سلطانية ووثيقة ملوكية.

المعنى بالتنفيذ:

كل أرباب الدولة والموظفين المحليين وكل من تقع عليه الوثيقة. والناظر لما فيها من الحقيقة وتورد الوثيقة قائمة بالأسماء والألقاب".

تحديد الأشخاص المستفيدين:

تحدد الوثيقة الأشخاص المعنيين بأسمائهم وقد تضيف اليهم ذريتهم وذرية ذريتهم، ومن ينسب اليهم وجيرانهم وحيرانهم واللاجئيين اليهم.

مدة سريان الجاه:

بصفة مطلقة لا يحدها عامل الزمن، إلى أن "يرث الله الأرض ومن عليها".

(ب) الحصانات والامتيازات والاعفاءات:

الحصانة السياسية:

تنص الوثائق على اضفاء حصانة سياسية على المؤسسة الدينية والقائمين بأمرها وتشمل هذه الحصانة السياسية منع موظفى الدولة المركزية وحكام الاقاليم وموظفيهم من التعرض للمؤسسة وعلى القائمين بأمرها بأن "حجر دارهم عندهم، وحكم دارهم فى ايدهم، وحربتها فى يدهم، لا على مقدم فيها حكم، ولا قاضى، ولا

عسكر، "ولا أحد يتعرض لهم فى جاههم".

الحصانة من الاجراءات القضائية:

ينص المرسوم بان حكمها عندهم "حكم العادة والشريعة" لا على مقدم فيها حكم ولا قاضى. وعند تطبيق الحصانة على القائمين بأمر المؤسسة الدينية نجد أنهم لايخضعون للسلطات القضائية للحكام المحليين ولا يخضون للوقوف أمام القضاة الشرعيين فى المنازعات المدنية، وأن كل ما يتعلق بالمؤسسة الدينية يرفع للسلطان مباشرة. الذى له الحق فى الأمر بالنظر فى الدعوى - وبحضور ممثله الشخصى - ونجد القاضى الشرعى الذى حكم فى احدى المنازعات يقول "حضروا متنازعين عندى بأمر السلطان". وحتى شيخ قرى لا يستطيع أن ينظر فى منازعات اصحاب هذه الحصانة.

الحصانة للمقر والممتلكات:

بعد تحديد أبعاد جرم المؤسسة الدينية تحدد الوثيقة حصانة هذا الحرم حيث لا يسمح بالدخول اليه إلا باذن القائمين به وإلا أصبح تعديا، "لا أحد يدنيهم ولا يقربهم، ولا أحد يقف لهم على طريق ولا يدخل إلى ديارهم إلا بإذنهم حيث مانزلوه نزل". وتشمل الحصانة ممتلكات المؤسسة الدينية ابتداءا من الأرض "ولا ينازعهم منازع" وحتى ماءهم الأزرق لا يشربوه - وحبلهم المرمى لا يشيلوه -".

الامتيازات والاعفاءات الضريبية:

تحدد الوثائق مدى الامتيازات والاعفاءات الضريبية وتفصل الوثيقة مدى تمتع المؤسسة بالاعفاءات الضريبية وينص فى "أنها سالمة مسلمة من جميع السبل، والمضار والشرور، والخدم" وهى الضرائب والحقوق التى تخص السلطان، والحكومة المركزية والحكام المحليين، هذا بجانب الامتيازات الممنوحة للخلوة فى الحق فى قبول الهبات والصدقات والهدايا والزكوات والعشور سواء من الحكام أو من المواطنين.

العقوبات:

يحدد المرسوم السلطانى نوع العقوبة لمعارضة تنفيذ هذا المرسوم وهى تقع فى إطار الحسب. ويشار اليه بحسب - الملك - ويبدو أن الحسب هو عقوبة تنتج عن

مخالفة أوامر السلطان والتعدى على سلطاته وتعتبر من أخطر الجرائم التى تمس هيبة الدولة(٢٨).

ومن الملفت للنظر أن اعادة المؤسسة الدينية لوضعها السابق، لم يرض ملوك الجعل الذين ورثوا عن العنج سلطة مطلقة على جميع المؤسسات والسكان، وقد بذل سلطان جعل "غزير المال لسلطان الفونج على أن يجعل ما بأيدى بنى العباس تحت طاعته لكونه يخدم شمالهم وجنوبهم "واحتج الشيخ عجيب الذى حدث فى عهده تقنين المؤسسة الدينية واشتكى لادريس "ولد الارباب" بقوله "الفونج غيروا العوايد علينا" وقد نفهم انزعاجه إذا لا حظنا أن هذا الوضع قد حرمه من كل العوائد والضرائب المفروضة على الأراضى التى تحتلها هذه المؤسسات الأمر الذى دفع به من ضمن أسباب أخرى إلى المقاومة والحرب مع الفونج وقد نفهم الأثر الذى أحدثه إعادة تقنين المؤسسة الدينية اذا نظرنا إلى ما تعكسه لنا وثائق الفونج فى مدى الحماية والاستقلالية والامتياز الذى وجدته المؤسسات الدينية طوال عهدهم.

ومن هذا العرض للوضع الذى وصلت اليه المؤسسة الدينية فى عهد الفونج نتيجة للحماية والرعاية التى وفرها لها السلاطين والذى يعكسه صاحب الطبقات الذى أرخ للمؤسسة الدينية، فى صورة مشرقة تعكس لنا مدى ازدهار هذه المؤسسة وحركة المجتمع حولها بعكس الصورة القاتمة من الاضطراب فى المؤسسة السياسية التى أرخ لها كاتب الشونة فى نفس الفترة.

والدور الذى لعبته المؤسسة الدينية فى عهد الفونج بتوفيرها الاستقرار والطمأنينة نلمسه فى وصف بوركهاردت للدامر فى نهاية عهد الفونج الملئ بالاضطرابات السياسية حيث وجد الدامر واحة من الطمأنينة والسلام تتمتع بحكم ذاتى وإدارة حسنة من شيوخ المجاذيب(٢٩)، وأنها لم تكن إلا واحدة من المحميات والمجمعات الدينية المنتشرة على طول النيل وحتى دنقلا تمثل ملاذات آمنة فى ذلك العهد المضطرب، وقد يكون هذا الوضع للمؤسسة الدينية هو نفسه ما كان سائدا فى الممالك النوبية السابقة ووفرت للمجتمع النوبى فى أوقات الاضطراب الأخيرة فى العهد المسيحى قدرا من الاستقرار مكنها من الاستمرار فى شكل ممالك صغيرة فى دوتاو وفى الأبواب. واختفى هذا الدور طوال زمن العنج الذى مثل فراغا فى دور المؤسسة لم تتم اعادته إلا على يد الفونج الذين مثلوا امتدادا للحضارات النوبية المتعاقبة.

نهاية زمن العنج

اهتمام المؤرخين ببداية عهد الفونج جعلهم يقفزون إلى تقرير التحالف بين العبدلاب والفونج كبداية لدولة جديدة، وهذا جعلهم لا يلقون بالا للاحداث التى شكلت النهاية لعهد العنج. ويلخص يوسف فضل ذلك بقوله "كان من المتفق عليه حتى عهد قريب" أن سقوط سوبا قد تم نتيجة لا تفاق ثنائى بين العرب و الفونج أو بين عبدالله جماع وعمارة دونقس. وعلى اثر هذا الاتفاق قام ما يسميه البعض بالحلف السنارى، الذى ظل يحكم الجزء الشمالى الشرقى بين ١٥٠٤ -١٨٢١"[١].

ولكن الفرضية وجدت مؤخرا نقدا موجها فى الاساس لوجود حلف بين العبدلاب والفونج. حيث يعتقد البعض - أن الأمر تم اولا بقضاء العبدلاب على العنج ثم بعدذلك تمت هزيمة العبدلاب على يد الفونج فى ١٥٠٤[٢]. ويعتمد النقد فى مجمله على من هو البادىء بحرب العنج والقضاء على دولتهم، العبدلاب بمفردهم ام بالتحالف مع الفونج ولكن تم الحفاظ على الفكرة الاساسية فى قيادة عبدالله جماع لمجموعات من العرب المسلمين الذين كانوا نتاجا للهجرة العربية والتى تجمعت فى السودان الاوسط وقامت بالقضاء على العنج بقوتها الذاتية أو بالتحالف مع الفونج وأن المعركة الفاصلة تمت فى سوبا وقرى - مركز عواصم العنج - والفرضية تقوم على وجود تجمعات من العرب، وأن هناك شخصية قائدة استطاعت تجميعها أو توحيدها للقضاء على العنج ومن ثم انتصار العروبة والإسلام وقيام الدولة الإسلامية الجديدة فى السودان.

وبالرغم من سيادة هذا التيار لفترة طويلة فإن الفرضية نفسها بالرغم من منطقيتها النظرية الا أنها تقوم على وقائع لا يمكن اثباتها. ويمكن تلخيص الثغرات فى هذه الفرضية اولا، التشكيك فى وجود سوبا وقرى فى ذلك العهد حيث أن هناك اشارات كثيرة إلى أن سوبا قد هجرت فى القرن الثالث عشر أو الرابع عشر[٣] وأن نشأة قرى ارتبطت بالعبدلاب. وعبدالله جماع نفسه لا يجد الاجماع على وجود شخصية بهذه الاسم حيث أن روايات العبدلاب الشفاهية نفسها لا تجمع عليه وانما تشير بعض الروايات إلى بداية أمرها من "عجيب"[٤] ونجد أن الاسم الشائع لهذه الفئة هى باسم ولد عجيب حيث أن هذا الاسم هو الاسم الشائع لهم منذ عهد بروس الذى يسميه ولد عجيب[٥]. وكونيق يسميه ولدعجيب[٦] ومخطوط القلوباوى يسميه ولد عجيب[٧] وحتى طبقات ود ضيف الله تطلق عليهم ولد عجيب[٨]. ولم يظهر اسم

العبدلاب الا فى بعض وثائق الفونج المتأخرة وبعض الكتابات المتأخرة جدا[٩]. مما يشكك فى وجود هذه الاسم " عبدالله جماع" وهذه القبائل العربية التى مثلت جيوشا جرارة لا تظهر واضحة فى الصورة. وعليه يمكننا إعادة قراءة المخطوطات والوثائق التى لدينا قراءة قد نصل من خلالها إلى طبيعة نهاية زمن العنج واثر ذلك على التكوينات الجديدة.

فى هذه الدراسة قد حاولنا رسم حدود للمنطقة التى حكمها العنج وتوصلنا إلى أنها قد تكون هى نفس مملكة الابواب المنفصلة عن علوة وبعد ذلك دللنا على استيلاء العنج عليها وكما يقول كاتب الشونه "وكان العنج قبله تغلبوا علي النوبة"[١٠] ورجحنا أن هؤلاء العنج قد امتد نفوذهم من جنوب الشلال السادس إلى الشلال الرابع وحكموا المنطقة شرقها وغربها من ديار الكبابيش وحتى البحر الاحمر. ولدينا روايتان عن انتهاء عهد العنج الرواية الاولى يوردها لنا النبر، والتراث الشفاهى لمنطقة المناصير والرباطاب. والرواية الثانية نجدها فى مخطوطات العبدلاب ورواياتهم الشفاهية.

ورواية النبر مختصرة وتقول عن نهاية العنج "وقطعوا نزاع العنج فى باقى الأيام إلى أن أتت عليهم قبيلة جعل المذكورة وتغلبوا على ملك العنج بالظفر واستظهروا على جميع قبائل العرب وطردوهم من تلك الديار حتى اسكنوهم محل البحر الفيافى الواسعة والغفار . . ثم سكنوا ما شاء الله وأتتهم الفونج واستولت على جميع البلاد. واذعنت لهم القبائل بالطاعة" وهذه الرواية تورد عنصرا جديدا هو "الجعل" الذى ظهر قبل الفونج وقام بطرد العنج. واستمر فى الحكم لفترة ماحتى جاء الفونج واخضعوهم لسلطتهم" وصارت جعل عندهم من جملة الرعية ولكن لهم المزية على غيرهم فولوهم فيما هم فيه من البلاد"[١١] ويجد أمر استيلاء الجعل على السلطة من العنج سندا قويا من ديفيد روبينى الذى وصل إلى منطقة التكاكى (الرباطاب) فى سنة ١٥٢٣م ويقول "فى الصباح بدأت رحلتى من سوبا وسافرت لمدة عشرة أيام إلى مملكة الجعل والتى تتبع لمملكة سوبا وهى تحت حكم عمارة وملك الجعل يسمى ابوعقرب والذى مكثت عنده لمدة ثلاثة أيام ثم سافرت بعدها حتى وصلت إلى جبل التكاكى"[١٢] وهذه الفقرة تتفق مع مخطوط النبر فى الاشارة لمملكة الجعل وإلى "جبل" التكاكى ويوافق روبينى مخطوط النبر فى أن عمارة قد فرض سيطرته على مملكة الجعل فى وقت مبكر قبل أيام رحلة روبينى. ومن ناحية أخرى يوافق التراث الشفاهى لمنطقتى المناصير والرباطاب الاشارات الواردة لمملكة الجعل فى المنطقة[١٣]. وهذا التراث يدلنا على أن القضاء على العنج

وطردهم تم اولا فى الشمال فى منطقة الشلال الرابع والخامس وتم اجلاؤهم بعيدا عن مجرى النيل ربما إلى الصحراء الشرقية.

ومن الناحية الأخرى نجد تراث "العبدلاب" من خلال رواياتهم الشفاهية ومخطوطاتهم يسير فى نفس الخط ولكنه يرجع أمر القضاء على العنج لقيادة عبدالله جماع فى بعض الروايات وإلى عجيب فى روايات أخرى وهذا الخلط فى الاسمين قد لاحظة "نصر" عند معالجته لرويات العبدلاب "فى قصة الشيخ عبدالله جماع وزواجه من بنت الملك العنجاوى. حيث يقول اتفقت اغلب الروايات على أن بطل هذه القصة هو الشيخ عجيب بينما ذكرت روايات قليلة أن بطلها الشيخ عبدالله جماع وهذا الاختلاط ملاحظ فى كثير من الروايات حتى أنهم بدأوا تسلسل ملوك العبدلاب بالشيخ عجيب[١٤]

ونجد أن روايات العبدلاب الشفاهية تشير إلى ارتباط قوى بالمنطقة التى اوردنا ظهور تراث الجعل فيها - منطقة المناصير والرباطاب - حيث يشير تراث العبدلاب "أن جدهم يسمى حمد وأن حمد توفى فى أبى حمد الكائنة "بمنطقة الرباطاب". وهناك رواية تقول عن بداية العبدلاب فى دنقلا "عبدالله جاء كاسر من دنقلا - جابى درب أب حمد دا - نزل بى عتمور أب حمد "وتقول رواية أخرى عبدالله جماع" انتقل من دنقلا إلى بربر" واخرى تقول "عبدالله جماع جا فوق درب أب حمد" واخرى تقول "اجتمعوا ختوا فى السافل هناك جيهة حجر الطير (غرب الدامر)" وتقول رواية أن عبدالله جماع "اقامتوا الكبيره خلاص عند الجعليين وأن الجعليين ساعدوا فى الأمر".[١٥] وهناك رأى يحتاج إلى تحقيق وهو يقول أن ملك الجعل الذى اطلق عليه روبينى ابو عقرب يمكن قراءته"ابو عجيب لان النص مكتوب بلغة عبرية فيها كثير من الاخطاء الاملائية"[١٦] ويمكن أن يكون الشخص الذى التقى به روبينى يحمل اسم ابو عجيب فى تلك المنطقة الذى مازال فى جزء منها "الانقرياب" -ابناء ادريس انقر- ابن عبدالله جماع وشقيق عجيب.[١٧]

على كل حال تقول روايات العبدلاب أن "الشيخ عبدالله جماع كان وزيرا لملك العنج مدة ملكهم لانه كان ريس عموم قبائل العرب بالسودان. ولما تطاولت جنود العنج على ظلم العرب بالمرات العديدة، اتفق مع ابناء عمه فحول العباسيين بازالة ملك هذالظالم. وانعقد اجماع الجميع مع ساير العرب على هذا الامر وعاهدوه على حرب ملك العنج. وبذلك لقب بعبدالله جماع لانه جمع القبائل على هذه الحرب مع الملك عماره دنقس الاموى المقيم بجبل موية وبعدها جمع الجيوش العربية ودارت

الحرب بين عبدالله جماع وبين ملك العنج المقيم بقرى . . ووقعت بين الفريقين حرابات عديدة حتى قتل ملك العنج بقرى واستولى على ملكها عبدالله جماع واسس ممالك تحت رياسة ابناء عمه العباسيين "وجاء فى "واضح البيان" عن عبدالله جماع بعد تجميعه الجيوش وتعاهده "على أن يمده الفونج بنجدة، تقدم لحرب العنج بهذا الجيش العظيم . . وجالدهم فى عدة مواقع يطول شرحها حتى انتصر عليهم وفتح البلاد من أى جهة فى الشمال إلى سوبا وقتل ملكهم المسمى علوة" . . .ويضيف "وبعد ذلك خضعت له جميع بلاد السودان الا جهة العنج من شواطىء البحر الأحمر التى فتحها بعده ابنه الشيخ عجيب"[١٨].

وهذه الروايات المتناقلة عند الرباطاب والمناصير او عند العبدلاب نجدها متشابهة فى أن نهاية العنج كانت على يد قيادة جديدة استطاعت بالقوة المسلحة طرد العنج من منطقة النيل ومن منطقة الابواب التى احتلوها فى منتصف القرن الثالث عشر وحكموها لمدة تزيد عن القرن. وأن هؤلاء العنج عادوا كما بدأوا إلى موطنهم الاول بعيدا عن ممر النيل "إلى الفيافى الواسعة والغفار" أو بصورة أكثر تحديدا إلى جهة العنج من شواطئ البحر الاحمر[١٩]. وتذكر روايات العبدلاب الشفاهية أن هذه الحرب كانت فى بلاد التاكا حيث أن جد الميرفاب حارب مع الشيخ عجيب العنج فى كسلا.[٢٠] والتى قام الشيخ عجيب بحزبهم فيها، "وأن شيخ عربان العنج غضب وتقدم لحرب الشيخ عجيب . . .واستمرت الحرب عشرين يوما وفى اليوم الواحد والعشرين قتل شيخ عربان العنج وانهزم ما تبقى من جيشه فانقسموا طائفتين .طائفة إلى كرسك والأخرى إلى مصوع. .ولما فتح تلك البلاد ولى عليها نابت جدا النابتاب حاكما . .وجعل حده سواكن ومصوع وكرسك من جهة البحر الأحمر".[٢١]

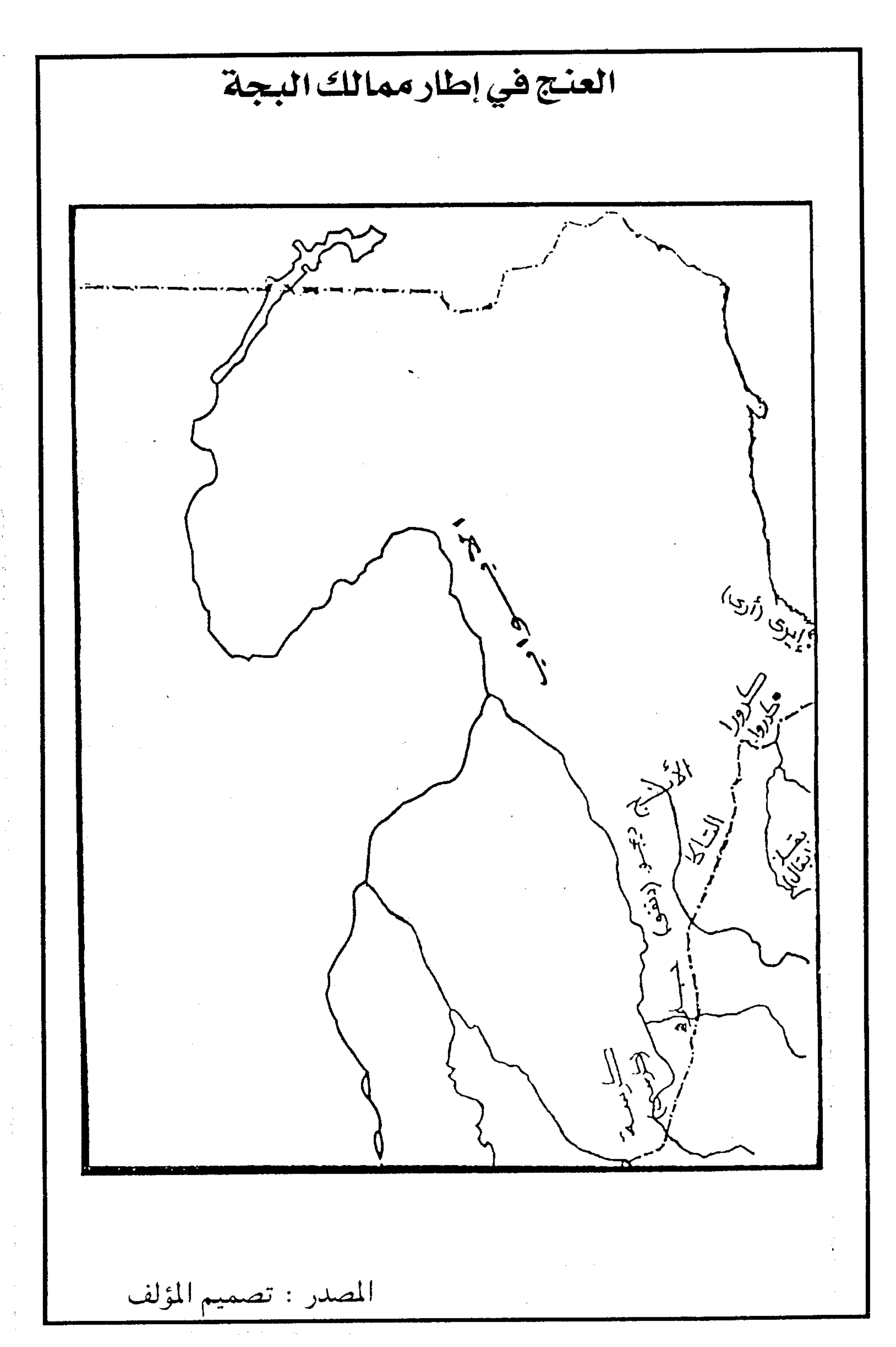
ومن ناحية أخرى لا نجد فى هذه الروايات والمخطوطات اشارة واضحة لتاريخ هذه الاحداث ولكن كلها تشير إلى أن القضاء على سيطرة العنج تمت قبل ظهور الفونج فى الساحة "قبل أن تاتيهم الفونج" كما جاء عند النبر.وقد يكون التاريخ الذى اورده كونيق من كردفان تاريخا معقولا لنهاية العنج حيث يشير "عند غزو احمد المعقور كانت تلك المديرية (كردفان) تحت ظل الإسلام وتابعة لممتلكات ود عجيب الكافولى الذى كان يحكم كل المنطقة الواقعة بين دنقلا العجوز وسواكن التى يسكنها عرب الحدارية . . وفى سنة ١٤٧٤م عند موت عجيب الكافوته".[٢٢] وحسب ما اشرنا إليه سابقا فان هذا التاريخ ليس مستبعدا لان الروايات والمخطوطات تتفق

على أن حكم الجعل أو ولد عجيب استمر لفترة ما قبل استيلاء الفونج على البلاد.

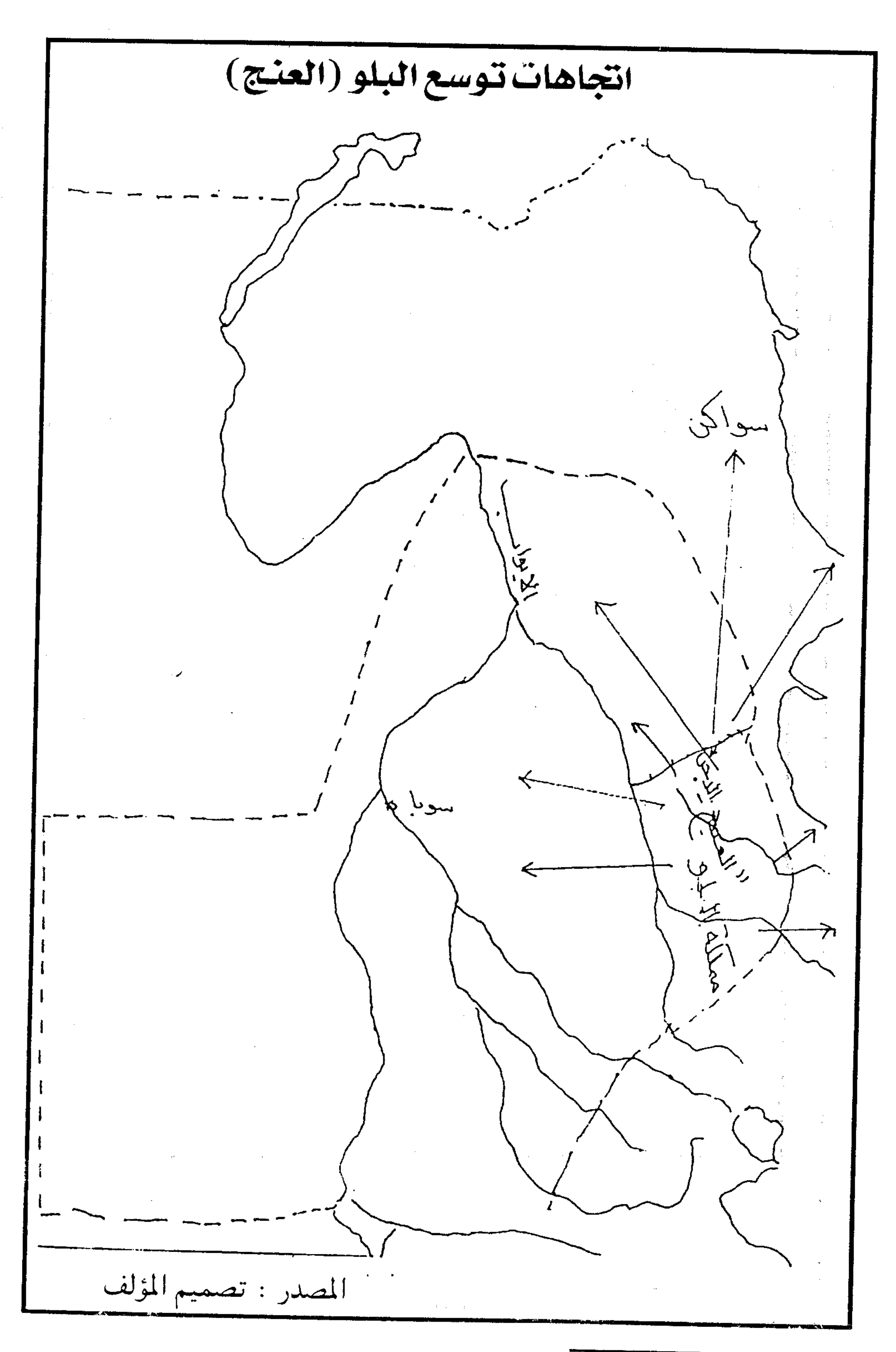
وفى ختام هذا البحث نورد تعليق مكى شبيكه على رحلة روبينى وخراب سوبا ووجود مملكة الجعل. وانها تابعة لسوبا وتحت عمارة حيث يتساءل "هل نستنتج من ذلك أن مملكة الجعليين حلت محل مملكة الابواب، وعندما سقطت سوبا دانت المملكة لحكومة الفونج التى حلت محل سوبا". .هناك احتمال كبير!.(٢٣)

وبعد أن قام العنج قبل قرن من الزمان بالتحرك من منطقتهم فى ارض القاش والتاكا واستطاعوا فيها الاستيلاء على جميع مملكة الابواب وخلفوا بصماتهم عليها نجد انهم فى آخر ايامهم عادوا من جديد إلى ارض القاش والتاكا حيث خاضوا معركتهم الأخيرة مع ملوك "الابواب" الجدد بقيادة عجيب وانهزموا فيها وتفرقوا فى القبائل واختفى اسم "العنج والبلو" وبقى اسم "الحلنقة" يدل عليهم وتشكلت المنطقة التى حكمها العنج فى كيانات جديدة تحت سيطرة ولد عجيب لتصبح ولاية تابعة لعمارة دنقس ملك سوبا (من الفونج) وبدأت مرحلة جديدة يمكن أن يطلق عليها الوصف "نهضة جديدة لمملكة سوبا تحت اسم العاصمة الجديدة سنار".(٢٤)

العنج في إطار ممالك البجة

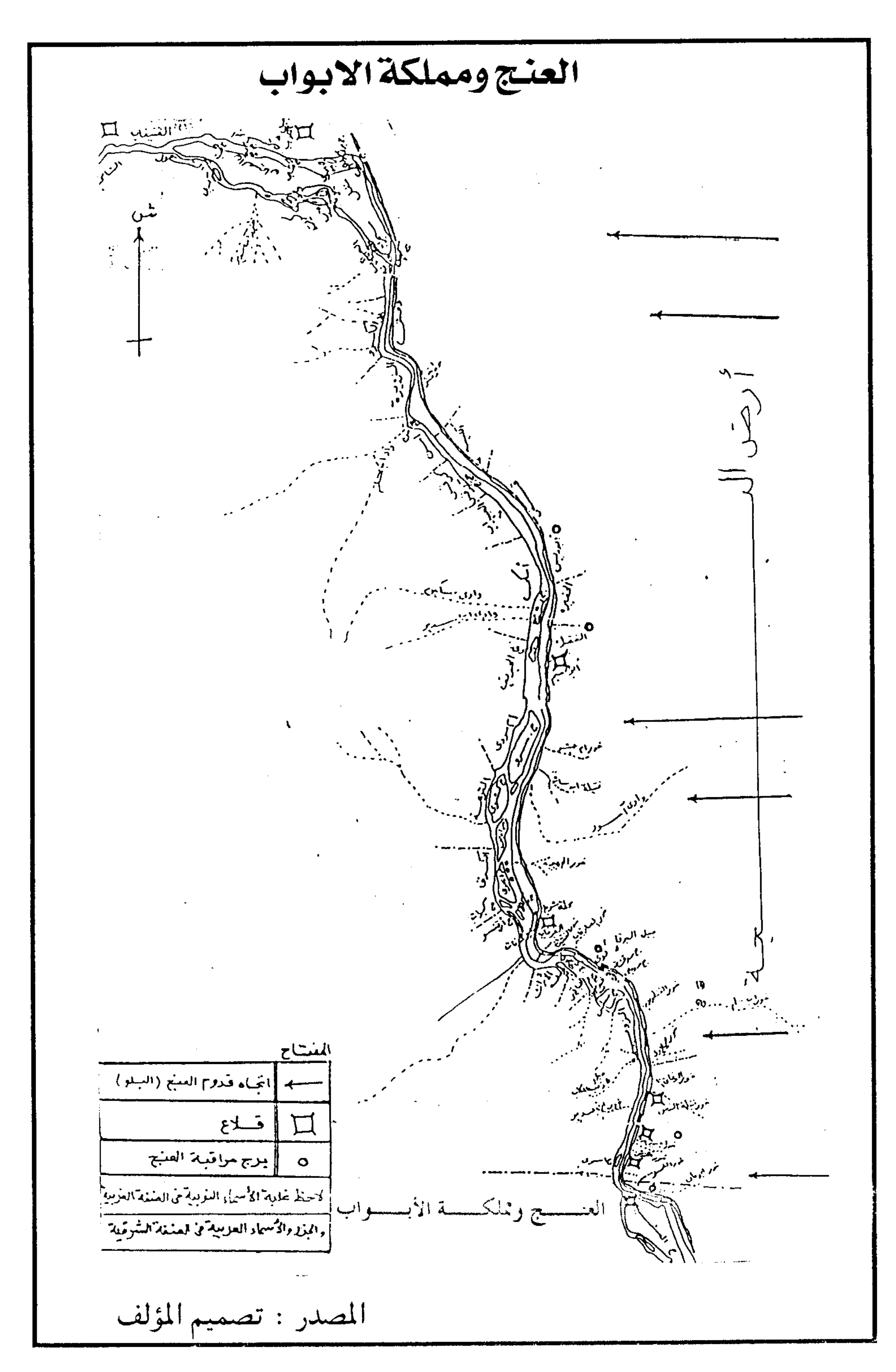


المصدر : تصميم المؤلف



اتجاهات توسع البلو (العنج)

المصدر : تصميم المؤلف


العنج ومملكة الابواب
المفتاح
اتجاه قدوم العنج (البلو)
قلاع
برج مراقبة العنج
لاحظ غلبة الأسماء النوبية في المنطقة الغربية
والجزر والأسماء العربية في المنطقة الشرقية
العنج ومملكة الأبواب
المصدر : تصميم المؤلف

هوامش مملكة الابواب المسيحية

١- Ali Osman Mohamed Salih, "Medieval Nubia: Retrospects and Intro-spects, in Paul Van Moorsel ed. New Dicoveries in Nubia, Proceedings of the Colloquim on Nubian studies 1979 (off print) Nederlands Instituut Voor Het NU-BIJI oosten, Ieiden, 1982 P/71.

٢- اعتمدت فى إيراد النصوص للمؤرخين العرب فى هذه الدراسة على المجموعة التى حققها مصطفى محمد مسعد فى كتابه، المكتبة العربية السودانية: مجموعة النصوص والوثائق العربية الخاصة بتاريخ السودان فى العصور الوسطى، (مطبوعات جامعة القاهرة بالخرطوم رقم (٤) - الخرطوم ١٩٧٢) - وسأكتفى عند إيراد النصوص العربية بالإشارة إلى مسعد ورقم الصفحة فيه..

٣- مصطفى محمد مسعد، الإسلام والنوبة فى العصور الوسطى، (مكتبة الانجلو المصرية القاهرة ١٩٦١) - أنظر الصفحة الأولى من مقدمة المؤلف بدون رقم.

٤- عبدالله بن أحمد بن سليم الآسوانى، ارسله القائد جوهرالصقلى إلى بلاد النوبة ليدعو الملك قيرقى (جورج) إلى الدخول فى الاسلام ويذكره بدفع البقط بعد إمتناع النوبيين عن دفعه. ومر ابن سليم بجميع بلاد مقره، وعرج على مملكة علوه وعاصمتها سوبا. ودون جميع ماشهده بعينه أوسمعه بأذنيه، ثم صنف للمعز لدين الله الفاطمى، "كتاب أخبار النوبة والمقره وعلوه والبجة والنيل". وهذا الكتاب مفقود، ولكن المقريزى حفظ لنا شيئاً منه، فقد نقل عنه بعض مايتعلق ببلاد النوبة وأوطان البجة نقلاً حرفياً حيناً وتلخيصاً أحياناً أخرى واودعه فى كتابه "الخطط" كما نقل عنه ابن عبدالسلام فصلاً عن النيل فى كتابه "الفيض المديد فى أخبار النيل السعيد".

أنظر: مسعد - المكتبة العربية السودانية - ص. ٩١ حاشيه.

٥- William Y. Adams, Nubia Corridor to Africa, (London Penguins Books, 1977) Introduction P. XXII.

٦- P. L. Shinnie,: Excavations at Soba: (Sudan Antiquities Service, Occasional Papers No. 3 Khartoum1961).

٧- Else Johansen Keleppe, "Antiquities in the Middle Nile Region, A preliminary Report from Reconnaissance Tour" Khartoum: Department of Archoelogy, University of Khartoum 1978.

٨- أحمد المعتصم الشيخ، "المؤسسة الدينية التقليدية.. دورها ووظائفها فى مجتمع الرباطاب" رسالة ماجستير، جامعة الخرطوم معهد الدراسات الافريقية والآسيوية ١٩٨٥.

٩- الروايات الشفاهية المسجلة مودعة فى أرشيف معهد الدراسات الأفريقية والآسيوية بالأرقام من م دأأ ٢٨٥٠ وحتى م د أأ - ٥٨٧١. عن المخطوطات أنظر أيضاً:

Ahmed El Mutasim El Shiekh and Ali Osman, "An Ababsa Family Manuscripts" Sudan text Bulletin No.V, November, 1983.

١٠- أنظر A. J.Arkel, A History of the Sudan to 1821 (London Athlone Press 1921) p. 194

١١- أنظر Yusuf Fadl Hassan, The Arabs and the Sudan (Khartoum University Press Khartoum 1973) p. 6.

١٢- William Y. Adams, Op. cit p. 537

١٣- Yusif Fadl Hassan, Op. cit. p. 6.

١٤- محمد النور بن ضيف الله، كتاب الطبقات في خصوص الأولياء والصالحين والعلماء والشعراء في السودان (تحقيق) يوسف فضل حسن (الخرطوم دار النشر جامعة الخرطوم ١٩٧٤) - أنظر الترجمات. ١٣٠ - ١٤٥ ١٦٩ - ١٧٠ - ٢٣٣ والصفحات ٤٤ و٥٦.

١٥- معلومة شفاهية من الشيخ محمد الحسن الفكى على: عميد أسرة الفكى على، شيوخ خلاوى الحلفا غرب بربر - وهذه الأسرة الدينية جاءت أصولها من منطقة الشايقية - وله اهتمام كبير بالتاريخ والأنساب.

١٦- محمد ابراهيم أبو سليم (دور العلماء فى نشر الإسلام فى السودان) - المجموعة الأولى - مؤتمر الإسلام فى السودان جماعة الفكر والثقافة الإسلامية الخرطوم - دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع الخرطوم ١٩٨٢ ص. ٣٤.

١٧- محمد إبراهيم أبوسليم، الفونج والأرض وثائق تمليك. (الخرطوم شعبة أبحاث السودان، ١٩٦٧).

١٨- عبدالوهاب أحمد عبدالرحمن، توشكى... دراسة تاريخية لحملة عبدالرحمن النجومى على مصر، (الخرطوم .... دار جامعة الخرطوم للنشر، ١٩٧٩ ص.٩٤.

١٩- James Bruce, Travels to Discover the Source of the Nile in the Years 1768 - 1773. (Edinburgh, 1804) pp .105-106.

٢٠- J.L. Burkhardt, Travels in Nubia (Second Edition, Murray London, 1819) P.P. 185 - 224 - 226.

٢١- محمد النور بن ضيف الله - المصدر السابق - أنظر الترجمة ١١٦ ص ٢٢٤ حاشيه ٢.

٢٢- نفسه... أنظر مقدمة الطبعة الثانية لكتاب الطبقات تحقيق يوسف فضل، يقول "التكاكى كما أخبرنى السيد خليفة الشيخ محمد إشارة للمنطقة التى سكنها الرباطاب والعبابسة بين وادى السنقير فى الجنوب وقرية الشلال فى الشمال" ص (ظ).

٢٣- C.H Armbruster, Dongolese Nubian: A Lexicon, (Cambridge University Press, 1965).

ونبهنى إلى هذا المعنى فى اللغة الدنقلاوية الدكتور (طبيب) محمد على أحمد وهو يعد من أكثر العارفين باللغة الدنقلاوية من أبناء دنقلا.

٢٤- ابن سليم الاسوانى، كتاب أخبار النوبة والمقره وعلوه والبجه والنيل - (فى مسعد) ص ٩٥.

٢٥- نعوم شقير، جغرافية وتاريخ السودان (دار الثقافة بيروت ١٩٧٢ طبعة ثانية)

ص ١٥.

٢٦- محتويات الشريط رقم م د أأ/ ٢٨٧ أرشيف معهد الدراسات الأفريقية والآسيوية جامعة الخرطوم - عبارة عن تسجيل شفاهى من حسين فضل المولى وقد عمل منذ صباه فى المراكب العاملة بين الرباطاب وأم درمان وأصبح ريساً فى هذه المراكب ويسكن الآن فى جزيرة انجرى ويعمل فى نجارة المراكب وعمره سبعين سنه.

٢٧- Yousif Fadl, The Arabs and the Sudan P.6

٢٨- H.C. Jackson, "A Treck in Abu Hamad District" Sudan Notes & Records Vol . XX No.2

٢٩- F. Addison, "An Archaeological Survey of the Sudan" in (ed) Hamilton,J.A. des, The Anglo - Eygptian Sudan from Within.(London: Faber and Feber, 1935) p. 35

٣٠- Jackson, H.C, op. cit pp. 1-35

٣١-النويرى: شهاب الدين أحمد بن عبدالوهاب: نهاية الارب فى فنون الأدب.. (فى مسعد ص ٢٢٦).

٣٢- James Bruce,: op. cit Vol. VII p.p 105-106

٣٣- واجهت الحملة النيلية لانقاذ غردون التى أخذت طريق النهر مشكلة فى اجتياز الشلال الرابع- أنظر وصف ذلك فى:

Butler W.F. The Campaign of the Cataracts (London, Sampson Low, Marston, Searle & Rivington 1877) p.325.

٣٤- النويرى - المصدر السابق - ص ٢٢٦ - ٢٢٧.

٣٥- نفسه ص٢٣٣ - ٢٣٥.

٣٦- ابن سليم، المصدر السابق ص٩٩.

٣٧- اليعقوبى، أحمد بن محمد أبى يعقوب بن واضح الكاتب:
كتاب البلدان - فى مسعد ص١٧.

٣٨- ابن سليم الاسوانى، المصدر السابق (فى مسعد) ص٩٩.

٣٩- ابن أبى الفضائل، مفضل، كتاب النهج السديد والدر الفريد فيما بعد تاريخ ابن العميد - فى مسعد ص ٢٥٠.

٤٠- William Y. Adams, op. cit. P. 537

٤١- اليعقوبى، المصدر السابق ص١٧.

٤٢- ابن سليم، المصدر السابق ص ٩٩.

٤٣- ابن أبى الفضائل، المصدر السابق ص٢٥٠.

٤٤- ابن الفرات، تاريخ الدول والملوك فى مسعد ص ٢٦٦.

٤٥- ابن عبدالظاهر، محى الدين أبوالفضل عبدالله ابن رشيد الدين أبو محمد عبدالظاهر.. تشريف الأيام والعصور بسيرة الملك المنصور قلاوون - فى مسعد ص٢٠٢.

٤٦- ابن الفرات، المصدر السابق ص ٢٦٦.

٤٧- ابن ابى الفضائل، المصدر السابق ص٢٥٠.
٤٨- المقريزى، أحمد بن على، كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك (فى مسعد) ص ٣٣٧.
٤٩- ابن الفرات، المصدر السابق (فى مسعد) ص ٢٧٤.
٥٠- النويرى، المصدر السابق (فى مسعد) ص٢٢٩.
٥١- ابن عبدالظاهر، تشريف الأيام والعصور (فى مسعد) ص ١٩٥.
٥٢- نفسه ص ١٩٥.
٥٣- ابن عبدالظاهر، الالطاف الخفية فى السيرة الشريفة السلطانية الملكية الاشرفية - (فى مسعد) ص ٢٠٥.
٥٤- ابن عبدالظاهر، تشريف الايام والعصور ص ١٩٦.
٥٥- ابن عبدالظاهر، الالطاف الخفية ص ١٩٦.
٥٦- ابن عبدالظاهر، تشريف الايام والعصور - ص ١٩٦.
٥٧- ابن سليم الاسوانى، المصدر السابق ص ٩٩.
٥٨- النويرى، المصدر السابق ص ٢٢٧.
٥٩- William Y. Adams, op. cit. P. 537
٦٠- القلقشندى، شهاب الدين أحمد بن على
صبح الأعشى فى صناعة الانشا - الجزء الخامس - (فى مسعد) ص ٢٨٧.
٦١- نفسه ص٢٨٧.
٦٢- النويرى، المصدر السابق ص ٢٢٢.
٦٣- ابن عبدالظاهر، تشريف الأيام والعصور ص ٢٠٢.
٦٤- نفسه ص ١٩٦.
٦٥- ابن ابى الفضائل، المصدر السابق ص ٢٥٠.
٦٦- نفسه ص ٢٥٠.
٦٧- النويرى، المصدر السابق ص ٢٢٦.
٦٨- نفسه ص ٢٢٩.
٦٩- نفسه ص ٢٢٦.
٧٠- نفسه ص ٢٣٥.
٧١- المقريزى، كتاب المقفى - ص ٢٠٤.
٧٢- النويري، المصدر السابق- ص٢٢٦.
٧٣- نفسه ص ٢٢٧
٧٤- ابن عبدالظاهر، الالطاف الخفية (في مسعد) ص ٢٠٤
٧٥- B.G. Haychock, "The History Department Tours in the Area from Abidya to Mograt" Adab, Journal of the Faculty of Arts, University of Khartoum, 1972. P.7.
٧٦- أنظر O.G.S. Growford, Castles and Churches.
٧٧- B.G. Haychock Op. cit. P.7
٧٨- أنظر المسوح الاثرية التي قام بها طلاب شعبة الاثار في منطقة النيل الأوسط:-

Abbas Sid Ahmed, "The Antiquities of Mograt Island" Sudan Notes and Records, Vol. LLi, Khartoum 1971.
Khidir Adam Eisa, "The History and Antiquities of Karaba Sherick Region" B.A (Hounours) Dissertation, University of Khartoum. His tory Department, 1971.
Mohamed El Hafiz Mustafa, "Antiquities in the Rubatab Region B.A. (Honours) Part 11 Dissertation, University of Khartoum History Department, 1973.

٧٩- ابن عبد الظاهر، السيرة الشريفة (فى مسعد) ص٢٠٤.

٨٠- نفسه ص ٢٠٤.

٨١- نفسه ص٢٠٢.

٨٢- John Vantini, The Excavations at Faras: A Contribution to the History of Christian Nubia, (Italy: Editrice Nigrizia Bologna, 1970 p. 268.

٨٣- ابن سليم الاسوانى، المصدر السابق (فى مسعد) ص ٩٢ -٩٣.

٨٤- نفسه ص ٩٤ -٩٥.

٨٥- ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر (فى مسعد) ص ١٩٥، ص ٢٨٠ -٢٨١.

٨٦- ابن الظاهر، تشريف الأيام والعصور (فى مسعد) ص ١٩٥.

٨٧- ابن عبدالظاهر، الالطاف الخفيه (فى مسعد) ص ٢٠٥.

٨٨- نفسه، ص ٢٠٤ (فى مسعد).

٨٩- John Vantini, op. cit p. 268.

٩٠- Adams, William, Y, op. cit. p. 304

٩١- John Vantini, op. cit p. 268.

٩٢- ابن عبدالظاهر، تشريف الأيام والعصوز (فى مسعد) ص ١٩٦.

٩٣- النويرى، المصدر السابق (فى مسعد) ص ٢١٧.

٩٤- Yusuf Fadl Hassan, The Arabs & the Sudan p.85.

٩٥- ابن سليم الاسوانى، المصدر السابق (فى مسعد) ص ٩٨.

٩٦- يوسف فضل حسن، دراسات فى تاريخ السودان - الجزء الأول (الخرطوم، دار التأليف والترجمة والنشر جامعة الخرطوم، ١٩٧٥) ص ٣٩.

٩٧- ابن سليم الاسوانى، المصدر السابق (فى مسعد) ص ٩٧ -٩٨.

٩٨- المقريزى، كتاب المقفى (فى مسعد) ص ٣٥٧.

٩٩- Whiteman, A.J, The geology of the Sudan Republic -(Oxford, Clarendon Press 1971) p. 226.

١٠٠- المقريزى، كتاب المقفى (فى مسعد) ص ٣٦٣.

١٠١- نفسه ص ٣٥٦.

١٠٢- نفسه ص ٣٥٨.

١٠٣- نفسه ص ٣٦٠.

١٠٤- (Captains) وترجمتها نقيب فى اللغة العربية ولكنى تجاوزت هذا إلى ترجمتها إلى (عقيد) وهى الكلمة التى تفيد المعنى المقصود وقد كان هذا اللفظ متداولاً فى فترة الفونج - العقيد - وعقيد القوم وفى منطقة الرباطاب هناك مجموعة من هؤلاء العقدة، وأشهرهم فى أواخر فترة الفونج العقيد أبوحجل.

١٠٥- F.Alvares, The Prister John of the Indies..., edited by Beckingham C.F. & Hunting ford C.W.B., Hacklyt Society. Cambridge, 1961, p.11

١٠٦- Shinnie P.L. Op. cit p.13

١٠٧- عبدالله على إبراهيم وأحمد عبدالرحيم نصر، من أدب الرباطاب الشعبى (الخرطوم كلية الآداب شعبة أبحاث السودان، سلسلة دراسات فى التراث السودانى (٤) سبتمبر ١٩٦٨) ص ٧.

١٠٨- Crowford. O.G.S. "Field Archaeology of the Middle Nile Region", Kush, Journal of the Sudan Antiquities Service, Vol. 1 January 1953. p.3

١٠٩- Crowford: O.G.S : Castles and Churchs

١١٠- M.F. Laning Macadam, The Inscriptions. (Notes in: O.G.S.Crawford Castles and Churches P. 14

١١١- B.G. Haychock - Op. cit P. 7

١١٢- J. Martin Plumley, "New Evidence on Christian Nubia In the light of recent Excavations " in Nubia Christiana Warsaw, 1982. p.15

١١٣- William Y. Adams, Op.cit p. 543

١١٤- أحمد بن محمد المشهور بالنبر، كراس النسب، مخطوط محفوظ لدى خلوة الفكى محمد بقرية نادى بالرباطاب.

١١٥- محمد النور بن ضيف الله، المصدر السابق - انظر الترجمة ١٦٦-ص٢٢٤.

١١٦- أحمد المعتصم الشيخ، المرجع السابق ص ٥٣-٥٤.

١١٧- نفسه ص ٥٤.

هوامـــــش التمهيد

١- محمد عوض محمد، السودان الشمالي سكانه وقبائله، والقاهرة، ١٩٥١م، ص٢٤٣.

٢- Arkel, A. J.A History of the Sudan to 1821, University of London, (London, 1961) 198. 1991.f. n. p.

٣- ورد فى مصطفى محمدسعد، الإسلام والنوبة فى العصور الوسطى، القاهرة ١٩٦٠م، ص٧٩.

٤- MacMichael, H. A, A History of the Arabs in the Sudan, London: Frank Cass and Company ltd, 1961. Vol 1, p.51.

٥- مكى شبيكه، مملكة الفونج الإسلامية، القاهرة ١٩٦١، ص٢٤.

٦- نعوم شقير، جغرافية وتاريخ السودان، بيروت: دار الثقافة، ١٩٧٢م، ص٣٨٥.

٧- يوسف فضل حسن، مقدمة فى تاريخ الممالك الإسلامية فى السودان الشرقى ١٤٥٠م -١٨٢١م، جامعة الخرطوم،الخرطوم ١٩٨٩م، ص٢٦.

٨- Adams, William, Y, Nubia Corridor to Africa, London, Penguin Books, 1977.

٩- Crawford, O.G.S. "Field Archaeology in the Middle Nile Region," Kush, Vol. I. Khartoum, 1953.

١٠- Shinnie, P.l. Excavation at Soba. Sudan Antiquties Service, Occasional Papers no.5,Khartoum 1961.

١١- أحمد بن الحاج ابو على، مخطوطة كاتب الشونه فى تاريخ السلطنة السنارية. والادارة المصرية، تحقيق الشاطر بصيلى عبدالجليل، القاهرة، ١٩٦١م، ص٨٣.

١٢- Ali Osman Mohamed Salih, "Medieval Nubia: Retrospects and Introspects," in Paul Van Moorsel, New Discoveries in Nubia, Proceedings of the Colloquium on Nubian Studies, the Hage, 1979, Leiden 1982. p.85 (Off print).

١٣- Spaulding, Jay, and Lidwien Kaptejins. "The Early Islamic Period" Unpublished Paper p.1،

١٤- يوسف فضل حسن، المرجع السابق، ص١٩.

١٥- Holt, P.M. "The Funj Conquest of Soba," B.S.O.A.S. XXIII,1960, p.1-12.

١٦- Abdalla Ali Ibrahim, "Sudanese Historiography and Oral Traditions" in Ahmed A. Nasr, "Folklore and Development in the Sudan, Sudanese Library Series "13" Institute of African and Asian Studies,

U. Of Khartoum, 1985, p.p. 13. 37.

١٧- أنظر مداولات، مؤتمر الفولكلور، التراث الشفاهى والتاريخ، معهد الدراسات الأفريقية، ٤ -٧ يناير ١٩٨٩م، لم تنشر.

١٨- صدرت من وحدة ابحاث السودان، كلية الآداب، جامعة الخرطوم، ولا حقا معهد الدراسات الأفريقية والآسيوية، العديد من المجموعات عن التراث السودانى نشرت تحت اسم سلسلة الدراسات السودانية وقد شملت من ضمن اصداراتها عن التراث الشعبى للنوبيين فى منطقة سكوت، وعن المناصير، وعن الرباطاب، والمرغماب، والبطاحين، والشكرية، والعبدلاب وغيرها من المجموعات السكانية الأخرى.

١٩- Vansina, Jan. Oral Traditions: A Study in Historical Methodology, London: Routledge and Fegan Paul, 1965.

٢٠- المؤتمر الأول عن اللغات والآداب فى السودان، ٧ -١٢ ديسمبر ١٩٧٠، ونشرت بعض اوراقه فى Sayyid Hamid Huriz and Herman Bell ed. Directions in Sudanese Linguistics and Folklore, Sudanese Studies Library(4) Sudan Research Unit, Institute of African and Asian Studies, 1975.

Abdel Gadir Mohamed Abdalla, Studies in Ancient Languages of the Sudan, Sudanese Studies Libarary(3) Sudan Research Unit, Institute of African and Asian Studies, University of Khartoum 1974.

والمؤتمر الثانى عن "الفولكلور والتنمية - عقد فى ١٩٨٠م وصدرت بعض اوراقه فى Ahmed A. Nasr, ed. Folkore and Development in the Sudan. Sudanese Libarary Series "13", Institute of African and Asian Studies, University of Khartoum, 1985.

٢١- هناك عدد ضخم من الاشرطة الصوتية وأشرطه الفيديو والتى تحوى مواداً تاريخية هامة جمعت خلال سنوات عديدة بواسطة شعبة ابحاث السودان ومعهد الدراسات الأفريقية والآسيوية ومحفوظة فى الارشيف الصوتى لمعهد الدراسات الأفريقية والآسيوية بجامعة الخرطوم.

هوامش مكان العنج

١- سيد محمد عبدالله: من حياة وتراث النوبة بمنطقة السكوت، جامعة الخرطوم، معهد الدراسات الأفريقية والآسيوية، سلسلة دراسات فى التراث السودانى ٢٠ أغسطس ١٩٧٣. بالرغم من أن هذا الكتاب جمع روايات تاريخية متعددة، إلا أنه لم يذكر العنج فى أى منها.

٢- Ali Osman Mohamed Salih, "The Economy and Trade of Medieval Nubia" Ph. D. Dissertation, University of Cambridge. 1978 p. 206.

٣- عبدالله على ابراهيم وأحمد عبدالرحيم نصر، من أدب الرباطاب الشعبى - جامعة الخرطوم كلية الآداب، شعبة ابحاث السودان، سلسلة دراسات فى التراث السودانى(٤) سبتمبر ١٩٦٨. أنظر أيضا احمد الأمين الشيخ محمد، "إيقاظ الناس إلى شرف بنى العباس "مخطوط لدى أسرة المؤلف.

٤- Jackson, H.C "Atreck in Abu Hamad District" Sudan Notes and Records, Vol. xx, No. 2 1926. p.25.

٥- Haycock, B. G. "The History Department Tours in the Area from Abidya to Mograt" Adab, Journal of the Faculty of Arts. University of Khartoum 1972. p.7.

٦- أحمد عبدالرحيم نصر، تاريخ العبدلاب من خلال رواياتهم السماعية، شعبة ابحاث السودان، كلية الآداب، جامعة الخرطوم يونيو ١٩٦٩. ص ٥٤.

٧- Jackson,H.C. op.cit, p.25.

٨- عبدالله الطيب، من نافذة القطار، الخرطوم ١٩٦٦م.

٩- محمود محمد على نمر ومحمد سعيد معروف، الجعليون تاريخهم ونسبهم وحياتهم وأدبهم. كتاب السودان الحديث(٤) الخرطوم، بدون تاريخ ص٣.

١٠- Jackson, H.C. op. cit. p 25

١١- Arkell. A History of the Sudan to 1821. University of London (London, 1961.p 198 f.n.2.

١٢- MacMichael H.A. AHistory of Arabs in the Sudan. (2vols.) London: Frank Cass and Company Ltd. 1961. p. 250 f.n.5.

١٣-الطيب محمد الطيب، التراث الشعبى لقبيلة البطاحين، الخرطوم، كلية الآداب، شعبة ابحاث السودان، سلسلة دراسات فى التراث السودانى. ص٧.

١٤- MacMichael, H.A, op.cit, p. 208 f.n.1

١٥- عون الشريف قاسم، حلفاية الملوك، التاريخ والبشر.

١٦- صلاح محيى الدين، المصدر السابق، ص١٩.

١٧- عزالدين الأمين، قرية كترانج وأثرها العلمى فى السودان. معهد الدراسات الأفريقية

والآسيوية، كراسة رقم (٩) الخرطوم ١٩٧٥م، ص٨.

١٨- MacMichael, H.A. op.cit, p.48 f.n.4.

١٩- كاتب الشونه، المصدر السابق، ص ٥.

٢٠- مكى شبيكة، السودان عبر القرون، دار الثقافة بيروت ط٢ (١٩٦٤)، ص٢٧.

٢١- محمد عوض محمد، المرجع السابق، ص ١٩٦.

٢٢- Jackson, H.C. op. cit .p.25.

٢٣- Newbold, D, "A Desert Odyssey of a Thousand Miles "Sudan Notes and Records, Vol VLL, 1924. p.55 .

٢٤- محمد إبراهيم بارودى وموسى بشير، "إقليم شمال كردفان، مجلس ريفى الكبابيش"، هيئة توفير المياه والتنمية الريفية، الدراسات الشمولية٣، الخرطوم، يونيو ١٩٧٥م.

٢٥- Arkel, A.J. op.cit, p. 199 f.n 2.

٢٦- محمد عوض محمد، المرجع السابق، ص٢٤٣.

٢٧- عمر محمد أحمد كبوش، التراث الشعبى لقبيلة المرغماب، سلسلة دراسات فى التراث السودانى، معهد الدراسات الآسيوية والافريقية، جامعة الخرطوم، أغسطس ١٩٨٠م ص٤.

٢٨- ابن عبدالظاهر، الالطاف الشريفة السلطانية الاشرفية، فى مسعد، ص١٩٦.

٢٩- أحمد المعتصم، مملكة الأبواب المسيحية فى العصور الوسطى، مجلة دراسات افريقية، المركز الإسلامى الخرطوم، العدد الخامس أكتوبر ١٩٨٩م.

٣٠- النويرى، شهاب الدين أحمد، نهاية الارب فى فنون الأدب، فى مسعد، ص٢٣٥، والتاكا إقليم قديم ومعروف وقد كان مشيخة هامة فى فترة الفونج وإقليم ادارى فى فترة التركية بهذا الأسم.

٣١- ورد رأى دى فيار فى مسعد، المصدر السابق، ص. ١٩٦.

٣٢- ابن حوقل، ابو القاسم محمد، كتاب صورة الأرض، فى مسعد، ص٧٤.

٣٣- ابن سليم الاسوانى، كتاب المقرة وعلوة والبجه والنيل، فى مسعد، ص ١٠٠.

٣٤- محمد صالح ضرار، تاريخ قبائل الحباب والحماسين بالسودان وارتريا، الدار السودانية للكتب الخرطوم ١٩٩١م.ص٢.

وايضا، اليعقوبى، أحمد ابى يعقوب، تاريخ اليعقوبى، فى مسعد ص. ٢٣.

٣٥- Mutsuo Kawatoko, "On The Tomb Stones Found at the Badi' Site," The Al-Rich Island, Kush, Vol.xvii, 1993, p. 186.

٣٦- اليعقوبى أحمد أبى يعقوب، المصدر السابق، ص ٢٥.

٣٧- محمد صالح ضرار، تاريخ سواكن والبحر الأحمر، الدار السودانية للكتب، الخرطوم ١٩٨١، ص٢٥.

٣٧- كرورا وتكتب فى بعض الخرائط قرورة، عند البجه تنطق بلهجة بين الـ(ق) السودانية والكاف، بما يدل على الصوت للحرف اللاتينى(Q) وكثير من الخرائط تكتبها كرورا وخاصة عند المصرين وتكتب فى الخرط الانجليزية كثيرا بحرف(K) أنظر لاهميتها كمقر عندالخاسة والحباب فى ضرار صالح ضرار، تاريخ قبائل الحباب، ص٥٢.

٣٨- ابن عبدالظاهر، المصدر السابق، ص.١٩٩.

٣٩- اشار إلى هؤلاء المؤرخين/ مصطفى محمد سعد، المصدر السابق، ص. ١٩٨.

٤٠- ابن عبدالظاهر، المصدر السابق، ص٢٠٢.

٤١- نفسه، ص٢٠١.

٤٢- أحمد المعتصم، مملكة الأبواب، ص٨٦.

٤٣- Sandars, G.A.R. "The Bisharin" Sudan Notes and Records", vol. xvl, 1933 p. 121.

٤٤- ابن عبدالظاهر، المصدر السابق، ص٢٠٢.

٤٥- ابن حوقل، المصدر السابق، ص٧٠.

٤٦- النويرى، المصدر السابق، ص ٢٣٥.

٤٧- ابن عبدالظاهر، المصدر السابق، ص١٩٥.

٤٨- محمد صالح ضرار، تاريخ سواكن والبحر الاحمر، ص٧٧.

٤٩- الدمشقى، نخبة الدهر فى عجائب البر والبحر، فى مسعد، ص ٢٣٦.

٥٠- ابن سليم، المصدر السابق، ص ١٠٥.

٥١- النويرى، المصدر السابق، ص٢٣٤.

٥٢- انظر مادة Alanga فى القاموس الانجليزى الامهرى.

٥٣- J.A. DE.C.H. "Note on the Halenge, by Shiekh Jaafar Ali, Nazir of the Halenge" Sudan Notes and Records Vol. vll.l. 1925. p.183.

٥٤- أحمد عبدالرحيم نصر، تاريخ العبدلاب، ص ٣٩٧.

٥٥- محمدالنور بن ضيف الله، كتاب الطبقات فى خصوص الأولياء والصالحين والعلماء والشعراء فى السودان، تحقيق، يوسف فضل حسن، الخرطوم، دار النشر، جامعة الخرطوم، ١٩٧٤، ص١١٩.

٥٦- الطيب محمد الطيب وآخرون، التراث الشعبى لقبيلة المناصير، الخرطوم كلية الآداب، شعبة أبحاث السودان، سلسلة دراسات فى التراث السودانى(٨) ١٩٦٩ ص٧.

هوامش زمن العنج

١- رودولفوس فاتوفيتش، "تقرير أولى عن الحفريات فى محل تجلينوس بكسلا" تلخيص وتعريب، أحمد محمد على الحاكم، كوش، مجلة الهيئة القومية للآثار والمتاحف، العدد السادس عشر، الخرطوم ١٩٩٣.

٢- ابن حوقل، المصدر السابق، ص٧٤.

٣- ابن عبدالظاهر، المصدر السابق، ص٢٠٢.

٤- النويرى، المصدر السابق، ص٢٣١.

٥- نفسه، ص٢٣٤.

٦- نفسه، ص٢٣٤.

يرد اسم علم الدين سنجر مرتبطا بشئون الحملات على النوبة ومرة يكون (الديمثرى وأخرى الدنيسرى وأخرى المسرورى) والرسول كان اسمه علم الدين سنجر المعظمى، وورد عند النويرى ضمن الحملة المملوكية على بلاد هلنكة، وقد تكون كل هذه الألقاب لشخص واحد كان خبيرا بمنطقة النوبة والبجه. وأن الالقاب تتغير حسب النظام المملوكى فى ترفيع المماليك لوظائف أعلى ويظهر الاسم فى الفترة من ١٢٨٧ - ١٣٠٦ فى مهام قد تكون دبلوماسية.

٧- Mutsou Kawatoko, "Preliminary Survey of Aydhab and Badi" Sites, Kush, Journal of Antiquities and Museums, vol. xvl. 1993.p. 203.

أنظر ايضا محمدصالح ضرار، تاريخ سواكن والبحر الأحمر، ص٤٥.

٨- النويرى، المصدر السابق. ص١٢٧.

٩- ابن بطوطة، ابو عبدالله محمد بن ابراهيم، تحفة النظار فى غرايب الأمصار وعجائب الأسفار، فى مسعد. ص٢٥٤.

١٠- النويرى، المصدر السابق، ص. ٢٣٤.

١١- Owen, T.R.H. "The Hadendowa" Sudan Notes and Records, vol. xx.1937.p.190.

١٢- محمد سليمان صالح ضرار أمير الشرق عثمان دقنة، الدار السودانية للكتب، الخرطوم، بدون تاريخ ص ١٢من المقدمه.

١٣- Alverz f, The Prister John of the Indies, ed. by, Beckingham, C.F, and Huntingford, S,W.B, Hacklyt Society, Cambridge 1961, p.88.

١٤- C.G. and Brenda Z.Seligman, "Note on the History and Present Condition of the Beni Amer (Southern Beja)" Sudan Notes and Records, vol xlll, 1930. part.1,p.88.

١٥- Crawford, O.G.S, The Fung Kingdom of Sennar" Glouster, 1951,

Qouting page 3,p.114.

١٦- د. إبراهيم أحمد زرقانة، الجغرافيا البشرية لحوض النيل، دار المعارف مصر، ١٩٧٢ص ٢٠٣.

١٧- C.G. and Brenda Z.Seligman, "Note on the History and Present Condition of the Beni Amer.

١٨- Crawford O.G.S, The Fung Kingdom, p. 116.117.

١٩- Ibid

٢٠- C,G, and Brenda Z. Seligman, "Note on the History and- Present condition of the Beni Amer.

٢١- Crawford, O.G.S. The Fung Kingdom, p.114.

٢٢- Ibid p.115.

٢٣- Ibid p.115.

٢٤- نعوم شقير، المصدر السابق وهو يصف أهمية كسلا كملتقى للطرق التجارية القديمة ص١٢٠.

٢٥- Crawford, O,G,S, The Fung Kingdom, p.116.

٢٦- Richard Pankhurst, "Ethiopia's Economic and Cultural Ties with Sudan from the Middle Ages to the Mid Nincteenth Century, "Sudan Notes and Records," Vol.Lvi, 1975, p.63.

٢٧- Ibid.p.63.

٢٨- Ibid.p.63.

٢٩- Crawford, O.G.S. The Fung Kingdom, p.118.

٣٠-ضرار صالح ضرار، تاريخ السودان، البحر الأحمر، إقليم البجه، دار الحياة بيروت ١٩٦٥ ص٥٠.

٣١- ابن سليم، المصدر السابق ص١٠٩.

٣٢- محمد عوض محمد، المصدر السابق، ص١٣٥.

٣٣- محمد صالح ضرار، تاريخ قبائل الحباب والحماسين بالسودان وإرتريا، ص١٠٢.

٣٤- Spaulding, Jay, The Heroic Age in Sinnar, African Studies Center,- Michigan State University, U.S.A. 1985. p.75.

٣٥- محمد سليمان صالح ضرار، المرجع السابق، ص١٢.

٣٦- أنظر تلخيص رأى لونجرج فى محمد عوض محمد، المصدر السابق ص١٣١ وكتاب لونجرج، Longrig, A Short History of Eritrea p.68.

٣٧- ابن سليم المصدر السابق، ص ١١٤.

٣٨- ابن حوقل، المصدر السابق، ص ٦٤.

٣٩- فانتينى، ج، تاريخ المسيحية فى الممالك النوبية القديمة والسودان الحديث. الخرطوم، ١٩٧٨م.

٤٠- Seligman C. G. and Brenda Z. "Note on the History and present condition of the Beni Amer," p.88.

٤١- نعوم شقير، المرجع السابق، ص ٥٣٧ ويعدد فيه السلع من واردات الحبشة فى سوق القلابات عام ١٨٦٥ وهى رقيق، خيل، سن الفيل، ذهب، شمع وزباد.

٤٢- Crawford, Fung Kingdom, p.118.

٤٣- محمد ادروب أوهاج، من تاريخ البجا، مطبقة جامعة الخرطوم ١٩٨٦، ص١٤.

٤٤- عبدالله بن الارباب الحسن بن شاور، "واضح البيان فى ملوك العرب بالسودان"، مخطوط رقم Misc 1/20/23، دار الوثائق.

٤٥- صلاح محيى الدين، عجيب المانجلك، من ملوك العبدلاب، سلسلة الشباب الشهرية، وزارة الشباب والرياضة، الخرطوم ١٩٧٥م، ص٧٩.

٤٦- أحمد عبدالرحيم نصر، تاريخ العبدلاب، ص٢.

٤٧- شريط رقم م د أأ ٢٨٦٤ مودع بارشيف معهد الدراسات الأفريقية والآسيوية، يحوى روايات عن تاريخ الرباطاب.

٤٨- كاتب الشونه، المصدر السابق، ص٧.

٤٩- ضرار صالح ضرار، تاريخ السودان، ص٦٦.

٥٠- محمد عوض محمد، المرجع السابق، ص١٣٧. وترد الرواية عند كثيرين غيره بصور مختلفة ومعنى واحد.

٥١- Crawford O.G.S. the Fung Kingdom, p.116.

٥٢- البلو انفسهم اشتهروا بتربية الخيل وهناك كناية شعبية تقول لمن يملك الخيل بأن له "سوط ومن يملك الإبل بان له عصا"ويقال عن من تملك الاثنين بأن له "عصا وسوط" أو "عصا وكرباج".

هـــوامش العنج ومملكة الابواب

١- تفاصيل تحديد مملكة الأبواب وازدهارها فى الفترة المتأخرة من العهد المسيحى أنظر، أحمد المعتصم، مملكة الأبواب المسيحية فى العصور الوسطى، مجلة دراسات أفريقية، جامعة أفريقيا، الخرطوم ١٩٨٩ من صفحات ٩٣-١٢٠.

٢- ابن عبدالظاهر، المصدر السابق، ص٢٠٢.

٣- النويرى، المصدر السابق، ص ٢٣٤.

٤- Crawfoed, O.G.S. Castles and Churches in the Middle Nile Region.

٥- Haycock B.G. "The History Department Tours in the Arca- From Abidya to Mograt, Adab, Jounal of the Faculty of Arts, University of Khartoum, 1972. p.7.

٦- Khidir Adam Eisa, "The History and Antiquities of Karaba Sheriek Region" B.A. (Honours) Dessertation, History Department University of Khartoum, 1917. p.71.

٧- Mohamed El Hafiz Mustafa, "Antiquities in the Rubatab Region", B. A. (Honours) part II History Department, University of Khartoum, 1973. p.78.

٨- Haycock B.G. Op. cit.p.7.

٩- أنظر مادة قيمان، عند عون الشريف قاسم قاموس اللهجات العامية فى السودان.

١٠- Haycock B.G, Op. cit. وهيكوك لا يسنده تراث العبابدة والبشاريين الذى يقول بأن ظهور العبابدة فى هذه المنطقة من الصحراء الشرقية حدث بعد ظهور الفونج الذين منحوا العبابدة حراسة هذه الصحراء والتى كان يقوم بها البشاريون، أنظر ذلك فى Sandars, the Bisharin,

١١- Khidir Adam Eisa, op. cit. p.71.

١٢- Eise Johanesn Keleppe, "Antiquities in the Middle Nile Region, A Preliminry Report form Reconnaissance Tour," Department of Archaeology, University of Khartoum, 1978.

١٣- Crawford, O.G.S, Churches and Castles, p.22.

١٤- الادريسى، ابو عبيد محمد بن حمد، صفة المغرب وارض السودان ومصر والاندلس، فى مسعد، ص١٣١وصف الادريسي البليين بأنهم يغيرون على ظهور الخيل على اسوان، ويصف موطنهم أنهم بين النوبة والحبشة. وهى مسافة بعيدة ولكن يبدو أن هؤلاء البليين يتبعون الاودية فى

غاراتهم.

١٥- Mohamed El Hafiz Mustafa, op. cit, p. 84.

١٦- ابن سليم، المصدر السابق، ص٩٩.

١٧- النبر، المصدر السابق، ص٢٧.

١٨- أنظر الخريطة رقم (٥) لمنطقة الرباطاب وانظر أيضا للأسماء النوبية فى المنطقة، أحمد المعتصم الشيخ، "عناصر أفريقية فى الاحاجى السودانية، الاحاجى عند الرباطاب"، رسالة دبلوم، معهد الدراسات الأفريقية والآسيوية، جامعة الخرطوم، ١٩٧٥م.

١٩- النويرى، المصدر السابق، ص ٢٣٤.

٢٠- النبر، المصدر السابق، ص ٢٨.

٢١- ابن سليم، المصدر السابق، ص ٩٤.

هوامش العنج ونظام الحكم

١- ابن سليم، المصدر السابق، ص٩٥.

٢- Ali Osman Mohaned Salih, Medieval Nubia, p.83.

٣- مصطفى محمد مسعد، الإسلام والنوبة فى العصور الوسطى، ٨٥.

٤- نعوم شقير، المرجع السابق، ص٨٤.

٥- ابن سليم، المصدر السابق، ص٩٩.

٦- محمد ابراهيم ابوسليم، الفونج والأرض، وثائق تمليك، شعبة ابحاث السودان، جامعة الخرطوم ١٩٦٧م، ص٣٨. ٤٣.

٧- نعوم شقير، المرجع السابق، ص. ٤١٧ -٤٢١.

٨- أنظر هذا النمط عند النابتاب: S.F. Nadel, "Notes on Beni Amer Society," Sudan Notes and Records Vol xxlv 1945 p.51.

٩- أشار إلى أن المقطع بجاوى، عون الشريف قاسم وآخرين منهم Seligman.

١٠- الخارطة رقم (٦) والتى حاولنا فيها رصد المجموعات السكانية التى ينتشر فيها هذا المقطع (أب) بصورة أساسية واضحة ويوجد هذا المقطع عند الفئات الحاكمة التى ترجع إلى اصول جعلية (فى تقلى وعند الحاكماب فى ارقو).

١١- أنظر هذا النظام عند الحماسين والحباب فى: محمد صالح ضرار، تاريخ قبائل الحباب والحماسين بالسودان وارتريا، الدار السودانية للكتب، الخرطوم ج٢، ١٩٩١.

١٢- انظر هذه التقسيمات فى MachMichail, History of the Arabs

١٣- من تراث الرشايدة.

١٤- Alvars, op.cit, p.ll.

١٥- النبر، المصدر السابق، والمؤلف من أسرة العبابسة بمنطقة الرباطاب وقد عاش فى النصف الثانى من القرن الثانى عشر الهجرى وقد تتلمذ على محمد بن الطريفى حوالى (١٧٤٠-١٧٦٠) الترجمة ٢١٥ فى الطبقات ويقول أنه كتب كتابه من مصادر شفهية ومكتوبة.

١٦- الادريسى، المصدر السابق، ص ١٣٥.

١٧- Crawfoid,O.G.S. The Fung Kingdom, p. 120.

١٨- Crowfoot,J.W. "Old Sites in the Butana" Sudan Notes and Records vol. lll no.2

١٩- Mohamed El Hafiz Mustafa, op.cit, 1920, p.85.

٢٠- ابن سليم الاسوانى، المصدر السابق، فى مسعد، ص ١٠٥.

٢١- محمد عوض محمد، المرجع السابق، ص٨٥.

٢٢- أحمد الأمين الشيخ محمد، المصدر السابق.

٢٣- النبر، المصدر السابق.

٢٤- محمد صالح ضرار، تاريخ سواكن، ص.٩٩ ويشير إلى التنجيل بمعنى نقل البضاعة

من مكان لاخر أو افراغ المراكب.

٢٥- أحمد الأمين الشيخ محمد، المصدر السابق.

٢٦- حدثت فى قرية نادى من قرى الرباطاب فى عام ١٩٩٠م حادثة قتل خطأ من أحد أبناء الرباطاب لا حد أبناء البشاريين، وقد كان من ضمن شروط البشاريين أهل القتيل، أن يغادر القاتل المنطقة لمدة سنتين "المعلومة من المشاركين فى مجلس الصلح".

٢٧- يوسف فضل حسن، مقدمة فى تاريخ الممالك السودانية، ض. ٩٣.

٢٨- عبدالقادر محمد عبدالقادر دورة، رواية شفاهية سجلتها منه فى ١٩٩٣/١٢/٩ وللراوى كتاب عن تاريخ تقلى يعده للنشر وله مقالة عن تاريخ قبيلة تكلى" فى مجلة المجلس، العدد ١٢٢، ١٩٦٢ ص.٣ ٧.

٢٩-فرح عيسى محمد "علاقة مملكة تقلى بدولتى الفونج والمهدية" ورقة مقدمة لمؤتمر الفلكلور والتراث الشفاهى والتاريخ، يناير ١٩٨٩، ص.٥.

٣٠- ورد هذا اللفظ فى مخطوطات وتراث المنطقة الوسطى فى النيل ما بين الشلالين الرابع والسادس، ونجد أن حكام الاقاليم الأخرى فى فترة الفونج يغلب عليهم لقب شيخ (اتبرا، بيلا، أليس الخ . .).

٣١- معاملة العريس كملك ملاحظة فى التراث السودانى فى المنطقة الوسطى ويكون له وزراء وسلطة على الاخرين تسمى "حكم العريس" خاصة فى لحظات الجرتق، افادنى بمعنى لقب "أور" للعريس مجموعة من ابناء منطقة دنقلا منهم د. عطا الله حمد بشير (الخندق) وعبدالرحمن محمد كفيل (حفير مشو).

٣٢- قد يكون هو الملك ناصر الذى ورد عند العينى، "صاحب بلاد النوبة" ويحدثنا عنه المقريزى بأنه لجأ إلى القاهرة سنة ٨٠٠ هـ مستنجدا بالسلطان المملوكى فرج بن برقوق ضد ابن عمه الثائر عليه، أنظر:

د. عطيه القوصى، تاريخ دولة الكنوز الإسلامية، دار المعارف، مصر ط٢ ١٩٨١م ص١٣٤.

٣٣- الشاطر بصيلى عبدالجليل، معالم تاريخ سودان وادى النيل من القرن العاشر إلى القرن التاسع عشر الميلادى، ج، ٢ القاهرة ١٩٦٦ -١٩٦٧، ص١٢٠.

٣٤- ورد لفظ "أدر ملك الأبواب" عند ابن عبدالظاهر، المصدر السابق، ص١٩٥ -١٩٦. وعند النويرى، المصدر السابق، ص٢٢٢. وعند ابن الفرات: ناصر الدين محمد بن عبدالرحيم، تاريخ الدول والملوك، ص ٢٦٦ فى مسعد.

٣٥- ورد لفظ على بابا عند الطبرى، ابو جعفر محمد بن جرير، تاريخ الرسل والملوك فى مسعد ص ٣٩. وتربط الدكتورة نادية بدوى بين على بابا واو لباب كبير البجه. أنظر.

نادية بدوى، "حلايب، الناس والأرض"، مجلة مصر، العدد الرابع، وزارة الاعلام، ج م ع، ص٣٣.

٣٦- الملاحظ أنه فى أواخر عهد الفونج وعند استقلال أو شبه استقلال المناطق الشمالية من حكم العبدلاب اتخذ حكام الاقاليم لقب مك بدلا من ارباب، ومنهم مكوك الشايقية، صبير وشاويش والرباطاب الملك أبو حجل، والملك نصر الدين فى بربر، والملك نمر فى شندى، ومك الجموعية، واقتصر لفظ الارباب على أبنائهم وأقربائهم من الأسر الحاكمة. أنظر نعوم شقير،

المرجع السابق، ص ١٠٥ -١٠٦.

٣٧- محمد ابراهيم ابوسليم، الفونج والأرض، وثائق تمليك، شعبة ابحاث السودان، جامعة الخرطوم ١٩٦٧م، ص،٣٧.

٣٨- نفسه، ص ١١٥.

٣٩- النبر، المصدر السابق.

٤٠- صلاح محيى الدين، المصدر السابق، ص: ٣٧ و٤٠.

٤١- احمد عبدالرحيم نصر، تاريخ العبدلاب، ص١٠٩.

٤٢- ضرار صالح ضرار، تاريخ السودان - البحر الاحمر- اقليم البجه، دار الحياة بيروت ١٩٦٥، ص٦٦.

٤٤- Hayder Ibrahim The Shaigia, the Cultural and Social Change of aNorthern Sudanese Riverian People, Weisbaden, 1979.p.13.

٤٥- بوكهاردت، لويس، رحلات بوركهاردت فى بلاد النوبة (ترجمة) فؤاد اندراوس، القاهرة مطبعة المعرفة (بدون تاريخ).

٤٦- Crwofoot, J.W. "Customs of the Rubatab," Sudan Notes and Records, vol. 1. 1918.

٤٧- Seligman, C. G. and B. Z, "The Kababish, A Sudan Arab Tribe" Harvard African Studies vol. 1 l. Cambridge Mass, 1918, Reviewed by D. Davis, R. Sudan Notes and Records, vol. 1 1 l, 1920.p.281.

٤٨- Asad Talal, " A Note on the History of Kababish Tribe" Sudan Notes and Records, vol xl vll.

٤٩- Hillelson, S. "Did the Shukria Speak Rutana,?" Sudan Notes and Records, vol. 1 l, 1919.pp 156-6.

٥٠- مكى شبيكة، السودان عبر القرون، ص ١٢١.

٥٠- عون الشريف قاسم، دراسات فى العامية الدار السودانية للكتب، الخرطوم ١٩٧٤، ص٢٨ -٢٩.

هوامش العنج والمؤسسة الدينية

١- Riesener, G.A. "Outline of the Ancient History of the Sudan", Sudan Notes and Records, Vol. 1, 1918 p.p. 42-43.

٢- Shienne, P.L, Meroe: A Civilization of the Sudan, Holland: Thames and Hudson, 1967, p.p. 141-146.

٣- فانتيني، ج، المرجع السابق، ص ٥٠-٥٤.

٤- Vantini , The Excavations at Faras A Contribution to the History of Christian Nubia , op. cit., pp. 275-276.

٥- Plumley, J. Martin, "New Evidence on Christian Nubia, in the Light of Recent Excavation, "In Nubia Christiana, Warsaw, 1982. p. 15.

٦- Adams, Wiliam Y., op cit. p. 543.

٧- Haycock, B.G, op. cit., p.8,.

٨- احمد المعتصم الشيخ، "مملكة الابواب"، ص ٩٩.

٩- Alvares, F. , op. cit. 11/46.

١٠- Mohamed El Hafiz Mustafa, op. cit pp. 67-69.

١١- احمد المعتصم الشيخ "المؤسسة الدينية التقليدية دورها ووظائفها في مجتمع الرباطاب" رسالة ماجستير، جامعة الخرطوم، معهد الدراسات الآسيوية والأفريقية ١٩٨٥ ص ٥٤.

١٢- Haycock, B. G., op. cit., p. 7.

١٣- Adams, William Y. op. cit., p. 543.

١٤- Ibid p. 543.

١٥- Alvares, F., op. cit. p. 11/461.

١٦- احمد المعتصم الشيخ ، المؤسسة الدينية، ص ٥٣

١٧- كاتب الشونة، المصدر السابق، تحقيق الشاطر البصيلي، الملحق الاول نقلا عن مخطوطة باريس التي ورد فيها "اما الجهة الشرقية فقد كان بها اولاد عون الله وهم سبعة رجال في مدة "العنج" اي النوبة وكان احدهم المسمي بالضرير قاضيا في مدة العنج، قبل مدة الفونج. وقبورهم بنواحي ولد ابو حليمه ظاهرة، ص ١٢٤.

١٨- النبر، المصدر السابق، ص ٣١.

١٩- ود ضيف الله، المصدر السابق، ص ٤١.

٢٠- نفسه، ص ٤٢.

٢١- Spaulding, Jay, The Herioc Age, p.23

٢٢- Hillelson, S, "David Reubeni, an early visitor to Sennar". Sudan Notes and Records, Vol XVI, 1933,p. 59.

٢٣- Spaulding, Jay, Herioc Age, p. 456

والمصدر الذي استند عليه هو اشارة في هامش مخطوط النويري في (١٥٣٨م) والاشارات

الاخري اوردها من مصادر حبشية.

٢٤- Mohamed Ibrahim Abu Salim and Jay Spualding, Some Documents from Eighteenth Century Sinnar, Khartoum 1992, p. 3.

٢٥- محمد ابراهيم ابو سليم، الفونج والارض، ص ٢٢.

٢٦- وردت كلمة جاه في الوثائق وفي التراث الشفاهي، وهي تصف الفعل بنصب الجاه او كتبوا لهم الجاه أو جوههم أو جاههم ووردت في التسميات جاه الرسول وجاه الله، وقد حاول البعض تعريف الكلمة (عون الشريف) ولكننا هنا قمنا بالتعريف بصفة اشمل للمعني وما ينتج عنه من فعل.

٢٧- اعدت في ترتيب المرسوم علي الوثائق التي نشرها محمد ابراهيم ابو سليم في الفونج والارض والوثائق التي نشرها محمد ابراهيم ابو سليم م.ج.ل. سبولدنغ، وثائق من سلطنة سنار، في القرن الثامن عشر، دار جامعة الخرطوم للنشر ١٩٩٢.

٢٨- في مملكة الفونج كانت تعتبر اوامر السلطان هي الكلمة الاخيرة، وقد كان الحسب او حسب الملك يطال اي شخص مهما كانت مكانته ونجد شيخ قري يعتذر لأحد الخوجلاب بقوله بقي هذا امرا سلطاني ليس فيه خيار وقد كان حتي مراسيل السلطان يخشون من كسر حسب السلطان وقد وجد حتي الاجانب الحماية من السلطان نفسه، وذلك عندما احتمي بعض المرافقين "دي رول" من السلطان في العيلفون ولم يتمكن مراسيل السلطان نفسه من كسر جاه العيلفون انظر (Crawford O.G.S, The Fung Kingdom p. 232)

٢٩- لويس بركهارد ، المصدر السابق ص ٢٩ انظر ايضا وضع العيلفون في الوثيقة الصادرة من الوزير الشيخ بادي والد رجب الخليفه الشيخ ادريس ود الارباب من حكام العيلفون تقول "وملكت حلته الحكم وسوقه لا احد يتعرض له في حكم حلله وسوقه.. لانه شيئا من قديم الزمان من السلاطين السابقين. انظر نص الوثيقة في: Spauling J. "A charter of Badi B. Rajab, Hamaj Regent or Sinnar, 1778, "in Sudan Text Bulletin, Vol. V, Nov., 1983, p. 69.

هوامش نهاية زمن العنج

١- يوسف فضل حسن، مقدمة في تاريخ الممالك الاسلامية، ص. ١٩.

٢- Shinnie P. I. Excavation At Soba

٣- Sjostrom, Isabella, Y. and Welsby Derke A; "Soba east renewed Excavations in the Medeival Capital of Alwa.

٤- احمد عبدالرحيم نصر - تاريخ العبدلاب ص ٣٣.

٥- Bruce, James, Travels to Discover the Source of the Nile in the years 1768-1773. (Edinburgh, 1804). Vol. VI, p. 36a.

٦- Cadalvene and Breuvery, "L' Egypte, et L' Nubie" extracts translated by R.S. O Fahy" "Kordofan in the Eighteenth Century." Sudan Notes and Records Vol. 54 - 1973, p. 35.

٧- مدني ابراهيم القلوباوي، مناقب الجوهر الفريد في مناقب الشيخ ابراهيم القلوباوي، مخطوط (١١٦٢هـ) ص ٢٦، المخطوط محفوظ لدي اسرة القلوباوي.

٨- ود ضيف الله، المصدر السابق، ص ١٨٦.

٩- ابو سليم. الفونج والارض، كل الوثائق في الكتاب تشير الي ولد عجيب وقد ظهر في وثيقة واحدة - عرضا- اسم العبدلاب (طين العبدلاب) والوثيقة مؤرخة في ٩ نوفمبر ١٧٩١م وثيقة رقم "٢٨" ص ١٣٥.

١٠- كاتب الشونة، تاريخ ملوك السودان - تحقيق مكي شبيكة، كلية الخرطوم- تاريخ (١) ١٩٤٧م ص ١.

١١- النبر، المصدر السابق، ص ٣٠.

١٢- Hillelson, S., "David Reubeni", p. 55.

١٣- الطيب محمد الطيب، التراث الشعبي للمناصير وتشير روايات الرباطاب الي ملوك الجعل الذين حكموا المنطقة، انظر محتوي شريط تسجيل رقم م د أأ ٢٨٧١، ارشيف معهد الدراسات الافريقية والاسيوية.

١٤- احمد عبدالرحيم نصر، تاريخ العبدلاب، ص٩.

١٥- نفسه، ص ١٧ هـ ٥.

١٦- هذا الرأي ابداه لي د. جعفر ميرغني، استاذ اللسانيات في جامعة الخرطوم. ويعتقد ان عجيب وعقرب في اللغة العبرية الاختلاف بينهما في كتابة الياء وحرف الراء وهما حرفان شديدا التشابه في الكتابة في تلك اللغة.

١٧- الانقراب، ابناء ادريس (إنقر) وادريس إنقر هو أحد أبناء عبدالله جماع وشقيق عجيب، والانقراب يسكنون ارتولي والباوقة، ولادريس انقر دور في طرد العنج.. انظر تاريخهم في احمد عبدالرحيم نصر، تاريخ العبدلاب ص ٥٢-٥٧.

١٨- عبدالله بن الارباب الحسن بت شاور، المصدر السابق ص ٣-٤.

١٩- النبر - المصدر السابق، ص ٣٠.

٢٠- احمد عبدالرحيم نصر، مصدر سابق، ص ٥٥

٢١- عبدالله الحسن بن شاور، المصدر السابق، ص ٤.

٢٢- De Cadlvane et Breuvery, op. cit. p. 35

٢٣- مكي شبيكه، السودان عبر القرون، ص ٦١.

٢٤- Spaulding, Jay... The Herioc Age, p. 3.

فهـــــــرس الكتاب



- د. أحمد المعتصم الشيخ
- من مواليد ١٩٤٧، ندي (الشماليه)
- تخرج فى كلية الاداب ١٩٧١، جامعة الخرطوم.
- حاصل على دبلوم في الدراسات الأفريقية وماجستير في الفولكلور، جامعة الخرطوم.
- دكتوراة من قسم الآثار جامعة الخرطوم.
- له دراسات عديدة منشورة في الدوريات المحلية والدولية.
- شارك في العديد من البعثات السودانية والاجنبية، للمسوحات والدراسات الآثارية، جامعة بيرجن، النرويج، وجامعة الخرطوم.
- له مساهمات ادرجت فى المناهج الأكاديمية فى مجال، الفلكلور والتاريخ في بعض الجامعات السودانية.
- يعتبر من المؤسسين للمدرسة الحديثة فى تاريخ السودان.

THE SUDANESE STUDIES CENTRE

مركز الدراسات السودانية